الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الخطاب السردي في سورة طه

دراسة في البنية والدلالة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات البلاغية

إعداد الطالب:
نور عبد الرشيد

إشراف الدكتور:
باديس فوغالي

السنة الجامعية:

1426هـ 1427 هـ/ 2005 م - 2006 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاهـداء

إلى أمي العزيزة ،نبع الحياة والحنان -بارك الله في عمرها -

إلى روح والدي -الربان والفنان-

الربان : الذي علمني السباحة في بحار الانوار القرآنية

فكان يلقنني أصولها عندما أمخر معه عبابه ،بحثا عن جمال الجوهر القرآني وجلاله فأنتشي معه بارتشاف سلافة الفن

الالهي المضمخ بعطر الحقيقة .

والفنان الذي نحت كياني روحا ولهى بهذا النص المقدس

راجيا من الله أن يعينني وأن أكون ما كنت تريده

والى زوجتي المصون التي تحملت معي عناء الانشغال بإنجاز هذا البحث

والى أبنائي الذين نسيت إحتياجاتهم إلى حين

إلى كل هؤلاء أرفع هذا العمل المتواضع

عبدالرشد نور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

كان و لا يزال القرآن الكريم محورا عميقا وخصبا للدراسات العربية ،وبخاصة في حقلها البلاغي ،فقد فتح للدارسين والمهتمين فضاءات رحبة لاستكشاف معالم تشكيله البلاغي ،الذي يعد محورا أساسيا لإعجازه الفني ، كما إلتف حوله دارسو الأصول والفقه والتفسير وعلماء الكلام والنحاة و أهل الأدب، مما أثرى المكتبة العربية بمؤلفات ومصنفات ذات قيمة ،طرقت مختلف جوانبه المتعددة ،ولعل من أهم تلك المصنفات الرسالة للشافعي، وتفسير الطبري ،ومجاز القرآن لأبي عبيدة ،ودلائل الإعجاز للجرجاني والكشاف للزمخشري ،والتفسير الكبير للرازي وغيرها.

أما في الحقل الأدبي فقد أرسيت أسس نظريات اللفظ والمعنى ، وتوسعت مجالات الإجتهاد فيها وبرزت الجهود بشكل لافت للإنتباه ،يتجلى ذلك بتأليف الجاحظ لكتابه البيان والتبيين، والحيوان ،والجرجاني بكتابه دلائل الإعجاز .

وإذا كان القرآن الكريم وهو - كتاب رباني- تسمو أدبيته عن أدبيات المؤلفات البشرية ، ويرقى بلاغيا عن كل ما فاض به الإبداع البشري في مختلف الأجناس الأدبية فإن فكرة الاجتهاد حوله ظلت تحفز العقل العربي و الإسلامي على إكتناه خباياه الفنية وأسراره البلاغية والسردية ، وما يزال النص القرآني نصا مفتوحا مترعا بالخصوبة والثراء ، وبخاصة مع تطور مناهج البحث والنقد الأدبي .

إن المتمعن في هذا النص الرباني الأزلي تستحوذ على إنتباهه جملة من الظواهر الأدبية ،منها : ظاهرة التصوير ،وظاهرة القصص ،وظاهرة الحوار، والقصة القرآنية فيه حافلة بمعاني التبليغ ،والإعجاز ،وتماسك البناء وفق آليات سردية محكمة ،يسمو فيها

الجانب الإبلاغي والتربوي ،والعقدي ،والفني الذي تتآلف فيه العناصر البنائية عبر أمشاج وعلاقات تضفي على النص عوالم دلالية.

ولعل سورة طه تمثل نموذجا بارزا تتجلّي فيها هذه الآليات وبخاصة على مستوى أزمنتها السردية، وكذا صيغها المتعددة بنائيا،ودلاليا.

لقد ظهرت حديثا مجموعة من الدراسات تناولت القصة القرآنية بالدرس،والتحليل نذكر منها :"الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي" لسليمان عشراتي و دراسة محمد رجب النجار الموسومة بـ " التراث القصصي في الأدب العربي مقاربات سوسيو-سردية" و"الفن القصصي في القرآن الكريم" ، لمحمد أحمد خلف الله ، و"البنية السردية للقصص القرآني" لمحمد طول، و" الجانب الفني في القصة القرآنية" لخالد احمد أبو جندي و"القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه" لعبد الكريم الخطيب .

وفي ظل تطور المناهج السردية الحديثة تبلورت رُؤَى البحث ، والتحليل للخطاب السردي بشكل كبير، وتبلور في ذهني تبنى مثل هذه المناهج لمقاربة الموضوع، مع الإعتراف مسبقا بصعوبة التحكم فيها من جهة ،وخصوصية الخطاب القرآني المقدس من جهة ثانية.

إن مطالعاتي المتواضعة في مجال الدراسات القرآنية وحفظي وتذوقي للقرآن الكريم زرعا فيّ الرغبة الملحة لمقاربة أسسه الجمالية التي ميّزَت خطابه ،وطبعت سرديته بطابع الإعجاز ، سواء في خطابه العقائدي، أو السردي ، وقصة موسى في سورة طه بشكل أخص ، نظرا للأنساق البنائية التي شكلت متنها،هذا المتن الذي اختزن عمقا دلاليا ارتبط بالمعاناة الإنسانية في التمسك بالمبادئ وتحقيق القيم النبيلة من سلمٍ وإخاءٍ ، وفي المقابل نجد

روح اللطف الإلهي التي رعت هذا الكائن البشري في حِرَاكَهُ الحضاري التاريخي بهدايات الأنبياء والرسل .

لذا سعيت بكل ما أوتيت للإطّلاع على مختلف الجهود النقدية (الشعرية والسيميائية) في مجال السرد "كخطاب الحكاية" لجيرار جينيت، الذي نهض على جملة من المحاور أهمها: الزمن السردي بعلاقاته الثلاث وهي:الترتيب،و الإيقاع، والتواتر.

إضافة إلى كتاب " البنيوية الدلالية" لغريماس الذي درس فيه المستوى السطحي وكيف يتشعب إلى مكونين : مكون سردي يقوم أساسا على تتبع سلسلة التغيرات الطارئة على حالة الفواعل، ومكون تصويري، أو بياني ومجاله استخراج الأنظمة الصورية المبثوثة في نسيج ، النص ومساحته والمستوى العميق، ويختص بدراسة البنية الدلالية العميقة إستنادا إلى نظام الوحدات المعنوية الصغرى ، كما أنوه كذلك بكتاب "بنية النص السردي" لحميد لحمداني في دراسته لمكونات السرد ،وبخاصة الفضاء، بالإضافة إلى "بنية الشكل الروائي" لحسن بحراوي، وكتاب "مدخل إلى نظرية القصة "لسمير المرزوقي، وجميل شاكر وغيرها من الكتب التي إعتمدتها في التحليل .

وقد مكنتني مطالعاتي وامتلاكي المتواضع لبعض آليات النقد أن أقف عند أسرار النسيج القرآني في سورة طه مركزا على بنائها ،وعلى مختلف الأنساق التركيبية والسردية المشكّلة له ، في إطار تحقيق أغراضها ، مع الاعتراف بالصعوبات التي واجهتني،وأنا أحاول المسك على اجرائيات التحليل التطبيقي لخطاب السورة ،إنطلاقا من مكونات البنية السردية وصولا إلى الدلالة .

وقد قسمت بحثي هذا إلى مدخل ،و أربعة فصول ،وخاتمة.

-حيث تناولت في المدخل مفهوم الخطاب في التراث العربي وفي النظريات اللسانية المعاصرة ، لأخلص بعد ذلك إلى مفهومه في الخطاب القرآني.

-وخصصت الفصل الأول لقضايا السرد، حيث درست البنية السردية في قصص الخطاب الثلاث (قصة موسى عليه السلام و قصة آدم عليه السلام و قصة محمد ﷺ).

ثم وضحت مستويات السرد وحددت بعد ذلك أهم الوظائف السردية .

-أما الفصل الثاني : فقد بحثت البنية الزمنية للخطاب السردي حيث بدأت بتمهيد أوضحت فيه مفهوم الزمن ثم قمت بتحليل الزمن الكلي للخطاب كسياق سردي لثلاث قصص وتحديد حقوله الزمنية ثم درست علاقات الترتيب والإيقاع والتواتر بين زمن القصة وزمن الخطاب في كل قصة على حدة.وختمت الفصل بعد ذلك بذكر دلالة الزمن في الخطاب عامة .

وفي الفصل الثالث تناولت البنية المكانية كما قدمها خطاب السورة حيث مهدت بمدخل نظري لمفهوم المكان في النقد وانطلاقا منه حددت البنية المكانية في القصص الثلاث وفاعليتها، وتطورها وختمت الفصل ببيان الدلالة العامة للمكانية خطاب السورة.

-أما الفصل الرابع فخصصته لدلالات السردية في السورة حيث تتبعت دلالة تسلسل الأحداث في القصص الثلاث، وبناء عليه ضبطت المثال العاملي لكل قصة، ومنه حددت المثال العاملي الموحد للخطاب الذي يتحكم في جملة علاقاته السردية بين فواعل الخطاب ، لأخلص أخيرا إلى حصر الاقطاب الدلالية المهيمنة على الخطاب ومنه إلى الدلالة العامة التي تختزلها بنية الخطاب.

وفي خاتمة البحث لخصت النتائج التي توصلت إليها

وفي الأخير أقدم شكري الخالص للأستاذ المشرف الدكتور باديس فوغـــالي الـــذي رعى هذا البحث منذ كان بذرة ،وما بذله معي من حسن التوجيه والإشراف، وســـخائه في تزويده بالمراجع والمصادر ،مع رحابة صدره ،وتواضعه الذي بدونها ما كان لهذا العمل أن يتم ،فله مني خالص التقدير والامتنان .

وإلى كل من أمدني بنصيحة أو توجيه على إنجاز هذا البحث المتواضع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل: مفهوم الخطاب السردي

1- مفهوم الخطاب وتطوره في التراث العربي

2 - مفهوم الخطاب في النظريات اللسانية المعاصرة

3- مفهوم الخطاب السردي في القران الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- مفهوم الخطاب وتطوره في التراث العربي:

-الخطاب:مادة لغوية بصيغة المصدر، (مشتقة من الفعل الثلاثي (خطب) .

" يقال: خَطَبَ فلان إلى فلان، فَخَطَبَهُ أو أَخطَبَهُ أي : أجابه.

والخطاب والمخاطبة:مراجعة الكلام،وقد خاطبه بالكلام مُخَاطَبَة، وخِطَابًا، وهما يتخاطبان .

والخطب: سبب الأمر.

والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، و إختَطَبَ ،يَخطُبُ خَطَابَة ، واسم الكلام: الخُطبة....

قال الأزهري:نقول : هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه: خطوب"[1].

- ومنه خطب، جمعه خُطُوب يعني : الأمر والشأن

"(خطب)،الخطب:سبب الأمر، تقول: ما خطبك ؟قلت: قال الأزهري: أي ما أمرك ،ونقول:هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خطوب انتهى كلام الأزهري"[2].

وعلى المعنى الأول جاء قوله تعالى: حكاية عن الملك (العزيز) للنسوة.

- ﴿قال ما خطبكنّ إذ راودتن يوسف عن نفسه...﴾ [يوسف الآية 51]، يقول الطاهر بن عاشور في تفسيرها:

" الخطب:الشـــأن المهم من حالة أو حادثة قيل: سمي خطبا لأنه يقتضي أن يُخاطِب المرء صاحبه بالتساؤل عنه وقيل هو مأخوذ من الخطبة، أي: يُخْطَبُ فيه وإنما تكون الخطبة في أمر عظيم فأصله مصدر بمعنى المفعول أي: مَخطُوبُ فيه"[3].

وقوله تعالى حكاية عن سؤال إبراهيم عليه السلام للملائكة الذين أُرسِلُوا إليه وقوم لوط:

﴿قال: فما خطبكم أيها المرسلون﴾ [الحجر الاية 57].

-وفي حكاية سؤال موسى عليه السلام للسامري:

﴿ قال فما خطبكم يا سامري....﴾ [طه الاية 95].

*ومن الجذر اللغوي نفسه لمادة خطب اشتقت مادة الخطابة والخطبة.

---

[1] -ابن المنظور ، لسان العرب ، دار صادر ،بيروت ، لبنان ط1 ، 1998 ج1 ، ص361 .

[2] -الرازي ، مختار الصحاح ،تحقيق : محمود خاطر ،مكتبة لبنان، 1995 ،ص :76.

[3] -الطاهر ابن عاشور :تفسير التحرير والتنوير،الدار التونيسية للنشر، تونس ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط 1984 ،ج12 ص 290.

والخطبة مصدر الخطيب وخطب الخاطب على المنبر و اختطب ، يخطب خطابة واسم الكلام الخطبة. "وجاء في القاموس المحيط:وخطب الخاطب على المنبر خَطَابَة، وخُطْبَةً وذلك الكلام خطبة أيضا ، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه".

ويُرَادُ بها : الجنس الأدبي النثري القائم على المشافهة وإلتماس كل السبل لإقناع السامع بفكرة أو رأي والتأثير عليه كما عرفها علي بن محمد الجرجاني: " قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص مُعتَقَدٍ فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم معاشا ومعادا كما يفعله الخطباء والوعاظ" [1].

أما من حيث المفهوم فان الخطاب يختلف عن الخطبة والخطابة ذلك أن"البحوث العربية الإسلامية بحاجة إلى استطلاع خبر الخطاب المناسب لها من الزاوية اللسانية وهو عمل يتطلب نَفَسًا طويلا و تظافُرَ جهود كثيرة متنوعة الاختصاص حتى نَدرَأ خلطا ساريا هو تَوَهُمُ الصلة بين الخِطاب والخَطَابَة، ولئن يعسر نَفيَ وجوه الارتباط بين الخطاب والفنون التي ذكرنا فان للخطاب خصائص متميزة نَحْسَبُ أن الكَدَّ من أجل نحتها علامةَ وعيٍ بالوظيفة المنوطة به ،وإعدادٍ للإنتقال من اللَّبْسِ إلى التعريف والتحديد، إن الانتقال من ظاهرة الخطابة إلى ظاهرة الخطاب إنتقال من كونٍ تقليديٍ إلى آخر حداثيٍ حيث يتحرك الكون التقليدي في دائرة لغوية لاحَظَّ لها في إنتاج المعرفة وفي تحقيق الإتصال إلا حظ الآلة والوسيلة فاللغة ألفاظ يعبّر بها عن المعاني"[2].

*ومن المادة نفسها يقال خطب الفتاة خَطَبا وخِطبَة،طلب المرأة أودعاها للزواج

"وخطب المرأة في النكاح خِطبَة بكسر الحاء، ويخطبُ بضم الطاء"[3]

وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى:

﴿ ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خِطبَة النساء...﴾ [البقرة الاية 235]

*ومن المادة (خطب) مَزيدًا عليها ألف المفاعلة للدلالة على المشاركة (خاطب).أي حصول الحدث من أكثر من طرف بقصد الإفهام.

(الخطاب والمخاطبة كمراجعة الكلام،وقد خاطبه بالظلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان)

---

[1] -الجرجاني ،علي بن محمد : التعريفات تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط1، ص:134.

[2] -كمال عمران: في تحديد مفهوم الخطاب (مقال) المجلة العربية للثقافة ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السنة 14، العدد 28 مارس 1995 م، ص 62.

[3] -الرازي:مختار الصحاح، ص :76.

وعلى هذا المعنى القريب من مصطلح الخطاب وردت بصيغة الفعل في السور الآتية (هود- والمؤمنون-والفرقان) ووردت صريحة في سورتي (ص والنبأ) ،بمعان متعددة نذكر منها:

-الخطاب بمعنى الدعاء في قوله تعالى : ﴿ وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ [هود الاية 37].

جاء في التحرير والتنوير في تفسيره الآية السابقة قوله:"دل النهى على أن كفار قومه سينزل بهم عقاب عظيم ،لأن المراد بالمخاطبة المَنهِي عنها المخاطبة التي ترفع عقابَهُم فتكون لنفعهم كالشفاعة، وطلب تخفيف العذاب لا مطلق المخاطبة"[1].

أما الزمخشري فيقول في تفسير الاية نفسها "ولا تَدعُنِي في شأن قومك و استدفاع العذاب عنهم بشفاعتك"[2].

فمعنى الخطاب في هاتين الآيتين هو: خطاب الدعاء.

-الخطاب بمعنى الكلام البين في سياق قوله ﷻ: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [ص الآية 29].

فقد فسر الزمخشري (فصل الخطاب) في هذه الآية بـــ "البَيِّنِ من الكلام الملخص الذي يتبَيّنُه من يخَاطَبُ به لا يلتبس عليه"[3].

-الخطاب بمعنى الحجاج في سياق قوله تعالى -حكاية لقول أحد المتخاصمين اللذين تسورا محراب داوود عليه السلام -﴿ ...فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب ...﴾[ص الآية 23]

قال الزمخشري في تعليقه حول الاية : " غلبني ،يريد جاءني بحِجَاجٍ لم أقدِرْ أن أُورِدَ عليه ما أَرُدُّ به وأراد به الخطاب : مخاطبة المحاجِّ المجاد "[4]

- الخطاب بمعنى المخاطبة في سورة النبأ قوله ﷻ ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا﴾[النبا الاية37].قال الزمخشري في تفسيرها " لا يملكون أن يخاطبه بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب إلا أن يأذن لهم"[5].

---

[1] - الطاهر بن عاشور :تفسير التحرير والتنوير،ج12ص67.

[2] - الزمخشري محمود بن عمر :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل،دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان ، ط 2،1947 ج2، ص392.

[3] -نفسه ،ج4 ص: 80.

[4] - نفسه ،ج4 ص: 83.

[5] - نفسه ،ج4 ص: 691.

نخلص مما سبق من الأقوال إلى المعاني المختلفة للخطاب ، فهو : المخاطبة –الدعاء– الكلام البيّن –الحجاج –

وقد جمع هذه المعاني للخطاب في القرآن عبد المالك مرتاض في قوله : "وقد ورد الخطاب في ثلاث آيات من القرآن بمعانٍ مختلفة، ولكنها تنطلق في أساسها من وضعٍ اشتقاقيٍ واحد:يعنى إقناع المخاطب، أو العجز عن الإجابة أمامه، والمعنى الأخير لموقف الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى"[1] .

ثم يضيف قائلا:(وأصبح الخطاب اليوم يطلق في العربية على كل جنس الكلام الذي يقع به التخاطب بين مخاطبين ،أو متخاطبين اثنين : سواء كان شفويا أم مكتوبا،ولكنه شاع إطلاقه على المكتوب أكثر من إطلاقه على الشفويّ الملفوظ،ثم على المكتوب الأدبي،أكثر من إطلاقه على المكتوب غير الأدبي على الرغم من التعميمات السابقة)[2].

وأخير نقول: الخطاب: هو كل مجموع له معنى، لغوي أو خلافه (متشكل من أيٍّ وسائل الاتصال الممكنة الأخرى) بهدف تبليغ رسالة، وهذا يفترض وجود طرفين تجري بينهما العملية الإبلاغية.

---

[1] –عبد المالك مرتاض:**تحليل الخطاب السردي،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق**، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1995 ، ص 261.

[2] –نفسه ، ص 262.

2- مفهوم الخطاب في النظريات اللسانية المعاصرة:

إن التطور الكبير الذي حققته اللسانيات في دراسة اللغة،كان له الأثر البالغ في تطور الدراسات الأدبية والنقدية،فقد أفادت الدراسات الأدبية من الإنجازات التي حققتها اللسانيات، سواء على مستوى بعض النتائج التي استهلهما الدارسون ،أم على مستوى مناهج البحث، إذ يظهر لنا هذا -على سبيل المثال- في هيمنة المصطلحات اللسانية على الدراسات الأدبية، الأمر الذي يعكس التلازم الوثيق بين اللسانيات والنقد، الذي اعتمد بدوره -إضافة لما سبق- عدة أسس ومفاهيم لتحليل الظاهرة الأدبية ، ومن أبرز مظاهره، محاولة ضبط لغته باستعمال مصطلحات لها دلالة محددة ودقيقة على المفاهيم النقدية ،قصد تحديد الموضوع المراد إخضاعه للدراسة والتحليل، ومن هذه المصطلحات :

مصطلح الخطاب الذي تعددت دلالاته بتعدد اتجاهات ومجالات تحليل الخطاب،ومن هذا المنطلق تداخلت تعريفاته وتقاربت.

يكاد يجمع كل المتحدثين عن الخطاب، وتحليل الخطاب على ريادة ز- هاريس (1952) في هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بـــ (تحليل الخطاب) بِعَدِّهْ أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة، حيث عرف الخطاب بأنّه:

"ملفوظ طويل أو هو متتالية، من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة ،يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض. ومقتضى هذا التعريف يسعى هاريس إلى تحديد طبيعة الخطاب، وتطبيق تصوره التوزيعي عليه، والذي من خلاله تصبح كل العناصر، أو متتاليات العناصر لا يلتقي بعضها ببعض بشكل اعتباطي وفي مختلف مواطن النص، بل إنَ التوزيعات التي تلتقي من خلالها هذه العناصر تعبر عن إنتظامٍ معيّن يكشف عن بنية النص"[1].

ومن المحاولات الأولى لتحديد مفهوم الخطاب بعد (هاريس) نجد كذلك الباحث الفرنسي "بنفنست" الذي يعرف الخطاب من منظور مختلف، حيث كان له بالغ الأثر في الدراسات الأدبية التي نهضت على دعائم لسانية ،فهو يرى "أن الجملة هي أصغر وحدة في الخطاب، ومع الجملة نترك مجال اللسانيات كنظام للعلامات وندخل في مجال آخر ،حيث اللسان أداة التواصل نعبّر عنه

[1] - سعيد يقطين:تحليل الخطاب الروائي (الزمن -السرد-التبئير)،المركز الثقافي العربي، لبنان ط:3، 1997 ،ص:17.

بواسطة الخطاب، وعكس ما رأينا مع "هاريس" في وقوفه عند حد الملفوظ ألفينا "بنفنست" يقيم مفهوم التلفظ، وهو يعني: الفعل الذاتي في استعمال اللغة -أنه فعل حيوي في إنتاج نَصٍّ ما، كمقابل للملفوظ باعتباره المنجَز اللغوي المنغلق، والمستقّل عن الذات التي أنجزته ،وهكذا يتيح التلفّظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة،لذا يرى "بنفنست" أن : التلفظ هو موضوع الدراسة وليس الملفوظ ،من هذا المنطلق التّحديدي يعرف "بنفنست" الخطاب بأنه: (كل تلفظٍ يفترِضُ متكلّما ومستمعا وعند الأول هدفُ التأثير على الثاني بطريقةٍ ما)[1].

أما أصحاب معجم اللسانيات فقد اقترحوا ثلاثة تحديدات للخطاب :

-الاقتراح الأول يتمثل في أن الخطاب هو الكلام بمفهوم دوسوسير.

-وأما الثاني فالخطاب :هو وحدة مساوية للجملة أو تفوقها ويتكون من متتالية تشكّل مُرسَلَة لها بداية ونهاية والخطاب هنا مرادف للملفوظ.

-أما الاقتراح الثالث فيتمثل في أن الخطاب هو :كل تلفظ يتعدّي الجُملَةَ منظورا إليه من جهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل"[2].

والواقع أن فضل إرساء دعائم علم اللغة الحديث، يعود إلى اللساني دوسوسير، ومما يعزَى إليه تمييزه بين الثنائية (Langue- Porale)،(اللسان) باعتباره لغة ،لا يملك وجودا عيانيا،بل يتوزع بين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة ،وبين (الكلام): أي الممارسة الفعلية للغة المُتكَلَمَة بالاحتكام إلى أحكام اللسان ،وقد تبنى هذه الثنائية الألسنيون ،وإن بدا على بعض المدارس اللسانية ميل إلى تغير المصطلح:

عند غوستاف غيوم: اللغة (Langue)الخطاب (Discours).

هلمسليف : النسق (system) النص (Texte).

جاكبسون: القانون (code)الرسالة (Message).

شومسكي: الكفاءة(compétence) أداء (performance).

ومن هنا نلقى أنفسنا بصدد مصطلحات متقاربة لُمسمًّى واحد وتتمثل في :

(النص – الأداء –الرسالة -الخطاب).

---

[1] – سعيد يقطين:تحليل الخطاب السردي ،ص18.

[2] Jean Dubois .(et autres) : dictionnaire de linguistique ,Larousse I talie, 2001 .P.150.

أما الباحث (دومينيك منغينو) فينتهي إلى تعيين ستة تعريفات للخطاب وهي :"

التعريف الاول:الخطاب :مرادف للكلام كما هو عند دوسوسير.

التعريف الثاني :الخطاب:هو الوحدة اللسانية التي تتعدّى الجملة وتصبح مُرسَلَة كلية أو ملفوظ.

التعريف الثالث:الخطاب:هو ملفوظ طويل،أو هو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقـــــة كما يرى (هاريس).

التعريف الرابع :الخطاب :هو الملفوظ منظورا إليه من خلال شروط إنتاجه.

التعريف الخامس: الخطاب:هو كل تلفظ يفترض متكلّما ومستمعا ،وعند الأول هدف التأثير على الثاني.

التعريف السادس:الخطاب:هو مفهوم ما بإعتبار المآل الذي تمارس فيه **الإنتاجية**، وهذا المآل هو الطابع السياقي غير المُتوَّقع الذي يحدّد قِيمًا جديدة لوحدات اللسان"[1].

بناء على ما سبق نقول : إن الخطاب يعدّ من أبرَز الظواهر التي تُحدِدُ طُرُقَ الاتصال وتضبط بنية التعبير وتنحت الأهداف المنشودة.

"وللخطاب في الكون الحداثي أبعاد ثريّة يمكن أن نصنّفها أصنافا ثلاثة كبرى تجسّمُ الوظيفة التي يضطلع بها وتعكس العناية التي يحظى بها في حقل الدراسات اللسانية المعاصرة.

– **البعد الأول**: ينحتُ صلة الخطاب باللغة، فهو في هذا الإطار كلامٌ ،إلا أنه كلام يجري مجرى الفعل،ويجد في مجرى الحياة العملية مكانة أولى فالخطاب : هو اللغة كما يمارسها المتكلم.

–**البعد الثاني**: متّصل باللسانيات كذلك،وبالوحدات التي تجعلها مادّة قصوى عند الدراسة فالخطاب هو الوحدة التي تُساوى الجملة أو تعلو عليها لأنها تختلف كمًّا، فتنطوي على الجملة الواحدة. كما تنطوي على عدد كبير من الجمل ،حيث يرتبط الخطاب في هذا السياق بعملية التلفّظ فيصبح مركزا لمُرَكَبَاتْ متلاحقة ،تصوغ الرسالة ،وتصنع علاماتٍ في البداية وأخرى في النهاية.

–**البعد الثالث**: يكون أكثر تجذّرا في عملية التلفظ ،وأكثر اقترانا بالمعنى اللساني الحديث فالخطاب :هو كل ملفوظ يضمّ عددا من الجمل ويسهرُ على التّرابط بينها من حيث التلاحق بين الجمل ومن حيث طريقه الترتيب والقرن ...[2].

---

[1] – Dominique **Maingueneau**: Initiation aux méthodes d'analyse du discours, Hachette université. Paris, 1976 ,P. 11-20.

[2] –كمال عمران : في تحديد مفهوم الخطاب ، ص: 63.

وأخيرا أستخلص من التعاريف السابقة التي من حاولت من خلالها تحديد مفهوم الخطاب ما يأتي :

إن الخطاب في بعده العام **يُعَدُّ أهمّ ما يُمَكِّن من ضبط الاتصال بين المرسِل** والمتلقي عبر الوسيط اللساني (أو غيره)، **وما يتضمنه الخطاب هو الكفيل** بتحديد بنيته النوعية،لرصد أهداف عملية التواصل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-مفهوم الخطاب السردي في القرآن الكريم:

إن الخطاب السردي القرآني القائم على الحكي (récit) "بوصفه واسطة بيانية تبليغية لناموس سماوي ....نزع مترعا واقعيا ،صدر في الأغلب عن مرجعيات تاريخية ارتبطت بسِيَر الأنبياء والرسل عليهم السلام في أزمان غابرة وبأخبارهم، وصراعاتهم من أجل رسالات الله ﷻ ،و من هنا كانت قصصهم القرآنية أخبارا لا يمكن إلاّ أن تنسجم -من حيث الأصالة والصدق- مع روح الكتاب المبين،الذي لا ينطق عن الهوى ،ولا يصدر عن وهم، فالصدق التاريخي معيار حرص القرآن الكريم على إثباته ،وتأكيده المرّة تلو الأخرى"[1] .

مصداقا لقوله ﷻ ﴿إن هذا لهو القصص الحق....﴾ [آل عمران الاية 62].

وفي موضع آخر كذلك قوله ﷻ ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ [الكهف الاية 13].

وإضافة إلى المعيار السابق فقد إتسمت بنية الخطاب السردي القرآني الشكلية بمميزات أضفت عليه خصوصيّة فنيّة عززّت أدبيته الإعجازية ، وعمّقت وظيفته التأثيرية بصورة لا تجحد وهذا بفضل الخصوصية السردية والأدبية التي نسجت بها تلك القصص .

ولفظة القصص كما جاءت في لسان العرب تعني " فعل القاصّ إذا قصّ القصص....والقصة هي:الجملة من الكلام...ونحوُه قوله ﷻ ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص...﴾[يوسف الاية 03]. أي نبيّن لك أحسن البيان.

والقصة هي : الخبر،وهو القصص: الخبر المقصوص، وُضِعَ موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص جمع : القصة التي تكتب)[2].

أما في الصحاح فقد جاءت لفظة القصة على الصورة الآتية:

"القصة : الأمر والحدث ،وقد اقتصصت الحديث: رويتُه على وجهِ ،وقد قصَّ عليه الخبر قَصَصًا، والاسم أيضا القصص بالفتح ، وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه والقِصَصُ جمع القصة التي تكتب"[3].

---

[1] -سليمان عشراتي:**الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي ديوان المطبوعات الجامعية** الجزائر ،1998 ص: 67.

[2] -ابن منظور،**لسان العرب**،ج 1 ،ص: 361 .

[3] -الجوهري، إسماعيل بن حماد : الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ،تحقيق احمد عبد النور عطار ، ط2، دار العلم للملايين ،بيروت ، 1979 ، مادة (قص).

ويقول الزمخشري: إن القَصَصَ قد يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص، وقد يكون من تسمية اسم المفعول بالمصدر،في تفسيره لقوله ﷻ:

﴿ نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.[يوسف الآية 03] .والقصص على وجهين:

الوجه الاول – يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص نقول : قصَّ الحديث يقُصُّهُ قَصَصًا

الوجه الثاني – فيكون (فعلا) بمعنى مفعول....ونحوه: النبأ والخبر في معنى المُنْبَأ به والمُخْبَر به.

ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر.

نحن نقصُّ عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه أقصُّ بأحسن طريقة وأعجب أسلوب، ألا ترى أن هذا الحديث مُقتصٌّ في كتب الأوّلين وفي كتب التواريخ ،ولا ترى اقتصاصّه في كتابٍ منها مُقَارِبًا لاقتصاصه في القرآن ،و إن أُريد بالقَصصِ (المقصوص) فمعناه: نحن نقصّ عليك أحسنَ ما يُقصُّ من الأحاديث ،وإنما كان أحسنه لما يتضّمن من العِبَرِ والنُكَتِ والحِكَمِ والعجائب التي ليست في غيره ،والظاهر أنه أحسن ما يُقْتصُّ في بابه...فإن قلتَ :ممّ اشتقاق القصص؟ قلتُ: من قَصَّ أثره إذا اتّبعه، لأن الذي يقصّ الحديث يتْبعُ ما حفظَ منه شيئا فشيئا ،كما يقال: تلا القرآن إذا قرأه،لأنه يتلو : أي يتْبعُ ما حَفِظَ منه آيةً بعد آيةٍ "[1].

لم ترد كلمة (قصّة) بهذه الصيغة في القرآن الكريم،وإنما وردت فيه لفظة القصص، والأفعال (قصّ – قصصنا – نقصّ...).

ومن أمثلة ذلك لفظة (نقصُّ) في الآيات الآتية :

﴿وكُلاًّ نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك...﴾ [هود الآية 120]

﴿تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها...﴾ [الأعراف الآية 101]

﴿كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق﴾[طه الآية 99].

[1] -الزمخشري : الكشاف ،ج2 ،ص : 440-441.

بناء على ما سبق يمكن تحديد المصطلحات على الشكل الآتي:

أولا : القصص : ويعني هذا المصطلح :(الحدث والخبر المقصوص) أما النبأ فيعني الخبر في معنى المُنبَإ به والمُخبَر به.

المقصى: الاقتصاص: (الطريقة والأسلوب) (اقتص بأحسن طريقة وأعجب أسلوب)

نقول هذا مع تحفظنا حيال الإجراءات التطبيقية التي تستهدف قراءة سورة طه بمفاتيح نقدية لا زالت قيد التجريب أن :

1-الخبر المقصوص أو النبأ فيقابله مصطلح (histoire) في السّرد: يعني الأحداث في ترابطها وتسلسلها،وكذا الشخصيات وعلاقاتها مع الزمان والمكان. "وفحوى الحديثة فيه قد تأسّس على نوعين من القص هما :

أ-القص ذو المرجعية التاريخية :وهو المتعلّق بأنباء الرسل [عليهم السلام] والأقوام والأمم الغابرة وما كان من أمرهم في تكذيب رسل الله [عليهم السلام] ،وما انتهى إليه مصيرهم جرّاء ذلك.

ب-القص ذو المرجعية المثلية:وهو نوع أقل تواردا من السابق وقد ساقه القرآن على سبيل التمثيل وهو أيضا يُجَانِسُ القصص التاريخي من حيث اشتماله على مغزى وعظي، وكلا النوعين القصصين يصدران من حيث الطرح والرؤية عن واقعية لا إغراب فيها ولا تهويم ، وما تنطوي عليه حديثه القصة أحيانا من أمور غيبية ،فإن السرد القرآني يقرِرُ بأنها من مظاهر قدرة الله الخارقة للمعهود،فمعجزة النبي أو الرسول في القصص القرآني إنما تُساق على أنها حادث إقناعيّ ملموس قائم على وازع غيبي يتجاوز حدود العقل وتُسَاقُ أيضا في إطار حِجَاجِيٍّ واقعي، مسرحه زمان ومكان مُحَدّدَان و فواعله أقوام ونبي مختار منهم في سياق واقعي، لا تنبو فيه جزئية الخارق (المعجزة)، بل هي تؤسسه على بُعْدٍ توازني تنشط به المفاعلة الصراعية التي تسجلها القصة بدلالتها التاريخية وبعبرها المفتوحة على الزمان"[1].

ثانيا :كما تعني لفظة القصص الاقتصاص كذلك (الطريقة و الأسلوب) أي : ترتيب العناصر على نحو مخصوص يختلف باختلاف الرؤية السردية وأعوان السرد، وأساليب القص .

ولقد حاول "تودوروف" أن يقف عند أبعاد لفظة السرد من خلال تمييزه بين القصة والخطاب عندما أكد أن لكل سرد مظهرين متكاملين هما:القصة والخطاب،ورأى أن القصة "تعنى الأحداث في

[1] -سليمان عشراتي:الخطاب القرآني ،ص : 80.

ترابطها وتسلسلها وفي علاقاتها بالشخصيات في فعلها وتفاعلها، وهذه القصة يمكن أن تقدّم مكتوبة أو شفوية،بهذا الشكل أو ذاك ،أما الخطاب فيظهر لنا من خلال وجود الراوي ،الذي يقوم بتقديم القصة ،و بحيال هذا الراوي هناك القارئ الذي يتلقى هذا الحكي،وفي إطار العلاقة بينهما ليست الأحداث المحكية هي التي تهمنا ،ولكن الذي يهمّ الباحث في الحكي بحسب هذه الوجهة هو الطريقة التي بواسطتها يجعلنا الراوي نتعرف على تلك الأحداث "[1].

إن المتأمل في الخطاب السردي في القرآن الكريم يلفه مفتوحا ومتنوعا، حيث يتراوح بين السرد القصصي الذي يصور الموقف، والسرد القصصي الذي ينسج المشهد ،وبين السرد القصصي المغلق أي المكتمل الأحداث ،والسرد القصصي المفتوح على التأويلات.

" فالقص في القرآن لا يحدد خطاطات جامدة لفن القصة ،ولكنه يؤصل تخريجات سردية تتبلور فيها القصة الواحدة في صور،تجعل من القص القرآني فنا مفتوحا على التنويع، يراوح بين القصة الموقف،حيث الحوار يبني الحدث ويجلي الوقائع، وبين القصة الممشهدة ،حيث يقوم السرد بالرصد والعرض من خلال المنظر والملابسة..."[2]

ولذا يجب التمييز بين شكلين للبنية القصصية كما صاغتها أدبية الخطاب القرآني:

-الشكل الأول يتمثل في : القصة المغلقة او المكتملة ،التي استقلّ بها موطن قرآني واحد ،و لم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك ،مثل قصة يوسف،وأصحاب الكهف، وسليمان وبلقيس ،وصاحب الجنتين.

-أما الشكل الثاني فيتمثل في: قصة موسى عليه السلام و آدم عليه السلام المتواتر في أكثر من سورة وبتنويعات إخبارية وسردية، تتجدد كثيرا أو قليلا من سياق لآخر، من حيث الإفادات التي يحملها أو على مستوى الشكل الخطابي.

---

[1] T.Z Veton todorov /les catégories du Récit (communication) N°8 paris 1866p. 133.

[2] -سليمان عشراتي : الخطاب القراني ، ص 69.

الفصل الأول : مستويات الخطاب السردي في سورة طه

I – الرؤية السردية :

1–الرؤية السردية في قصة موسى عليه السلام.

2–الرؤية السردية في قصة آدم عليه السلام.

3–الرؤية السردية في قصة محمد ﷺ.

II – المستويات السردية .

1–السرد من الدرجة الأولى.

2– السرد من الدرجة الثانية .

III – الوظائف السردية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئـــــة:

إن مفهوم الخطاب كأداة تحليل بنيوي دلالي،باعتباره بنية مستقلة من جهة ،في علاقته بقائله ومتلقية ،من جهة أخرى ،جاء في سياق تطور الدراسات النظرية و التطبيقية للأثـــر الأدبي في عصرنا الحالي ،حيث هيأت لظهور كلٌّ من الشكلانية الروسية، والشعرية ،والسيميائية ،وكـــذا الدراسات اللسانية التي سمحت لتحليل الخطاب بتعدد المداخل ، وتنوع طر ق البحث.

إن تحليل خطاب السورة وهو خطاب مقدس تقاطع فيه الديني ،والفني ومحاولة مقاربتـــه في ضوء النظريات النقدية المعاصرة ،يجعلني أتوخى الحذر ،إلا بالقدر الذي يسمح بالكشف عن بنية خطاب السورة في شكله ودلالته ،في ضوء ما تقدم من أقوال المفسرين كالرازي، و الزمخشري، وابن عاشور،وكذلك الآراء التي قدمها دارسو الخطاب القـــرآني المعاصـــرين ، دون إخضـــاع خصوصية هذه الخطاب لحرفية تلك المفاهيم النقديـــة ،ذلـــك "أن العـــدة الإجرائيـــة لتحديـــد الميكانيزمات السر دية للخطاب الوصفي كما حـــددها "بـــروكس" أو كمـــا توطـــدت عنـــد "جيرار جنيت" أو "غر يماس " أو "بوييون" أو"تودوروف" لا تنسجم مع المعطي السردي القرآني المفارق جذريا للمعطى الوضعي ،من حيث مصدرية الحدث السردي المحلية علـــى الله والمحـــددة الغاية في السعي إلى تحقيق القابلية لدى المتلقي لمعانقته عقيدة التوحيد،فالوازع التعبيري الـــذي يتضمنه الفعل الأدبي الوضعي من حيث صدوره عن نوازع ذات تنفث لواعجها أو أحاسيســـها من خلال ما تبدع ، إن هذا الوازع غائب في المعطى القصصي القرآني فهـــو مفاعلـــة ســـردية موضوعية ،الإطار التبئيري فيها مرتبط بجدلية تبليغ"[1].

[1] - سليمان عشراتي: الخطاب القرآني ، ص: 195.

لذا تندرج هذه المحاولة ضمن الدراسات المحدثة في تحليل السرد القرآني الذي تجاوز إشكالية المصداقية إلى تحليل تقنياته ،والكشف عن خصائصه النوعية ،وكذا القوانين الداخلية لخطاب السورة.

إن تحليل مكونات الخطاب السردي ،وكشف التقنيات ،والبنيات السردية التي تشكله،كان هدف عدة اتجاهات نقدية.

وتعد الأبحاث التي قامت بها الشكلانية البدايات الأولى في تحليل الأشكال الأولية للحكي والتي ترتد في مجملها إلى التفرقة المهمة بين المتن والمبنى الحكائين ،أي عالم السرد ،وعالم الواقع ثم انتقل هذا التقسيم الثنائي إلى البنيويين والشعريين السرديين -كتودوروف- و-جيرار جينيت- ليأخذ لديهم تسمية القصة ،والخطاب .

فالمتن الحكائي هو القصة المكونة من الأحداث ، وترابطها، والشخصيات وعلاقتها والفضاءات الزمنية والمكانية التي تؤطرها ،والتي يفترض أنها وقعت في الحياة أو يمكن تصور وقوعها .

يقول توماتشفسكي " إننا نسمى متنا حكائيا : مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل ،إن المتن الحكائي يمكن أن يعرض بطريقة عملية حسب النظام الطبيعي بمعنى النظام الوقتي والسببي للأحداث ،و باستقلال عن الطريقة التي نظمت بها تلك الأحداث أو أدخلت في العمل "[1].

والمبنى الحكائي أو الخطاب :هو البناء ،أو السرد ،أو التقديم الخطابي الذي يتم بمقتضاه إدخال تلك الأحداث في العمل الأدبي بعد إعادة ترتيبها ،وتأويلها من أجل تقديمها للمتلقي.

---

[1] **توماتشفسكي**: نظرية الأغراض ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي ،نصوص الشكلانيين لروس ،ترجمة ابراهيم **الخطيب** مؤسسة الابحاث العربية ،بيروت ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ط1، 1982 ص180.

يقول توماشفسكي: "في مقابل المتن الحكائي ،يوجد المبنى الحكائي ،الذي يتألف من نفس الأحداث بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا"[1].

إن المقارنة بين القصة والخطاب تبرز جهد الراوي في أحداث النقلة الفنية ،وإرسال الخطاب عبر وجهة نظره الخاصة مما يعني تبئيره لكل ما يرى ،أو يقوم بنقله إلى متخيله السردي عبر آليات سردية متعددة .

مفهوم السرد: يرى تودوروف أن العمل السردي الأدبي في مستواه العام ذو وجهين:

-"فهو قصة وخطاب في الوقت نفسه،بمعنى أنه يثير في الذهن واقعا و أحداثا قد تكون وقعت، وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية ...غير أن العمل الأدبي خطاب في الوقت نفسه ،فهناك سارد يحكي القصة أمامه بالضرورة قارئ يدركها"[2].

وتأسيسا لهذا التصور صنف تودوروف العمل السردي الأدبي صنفين :حيث يكون الحكي في شكل قصة، أو في شكل خطاب ،وعد الحكي خطابا والحكي عامة ينهض على مستويين :

المستوى الأول:يتضمن قصة ما ،تضم أحداثا متتابعة ومترابطة.

وأما المستوى الثاني: فيتجلى في الطريقة التي تحكى بها تلك القصة،وتسمى هذه الطريقة سردا.

ذلك أن قصة واحدة ،يمكن أن تحكى بطرق متعددة إذ " أن كون الحكى هو بالضرورة قصة محكية يفترض وجود شخص يحَكي ،وشخص يُحكى له ،أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى راويا أو ساردا ،وطرف ثان يدعى مرويا له ،أو قارئا ...

فإننا نستخلص من كل ما سبق أن الرواية أو القصة باعتبارها محكيا أو مرويا تمر عبر القناة الآتية:

---

[1] - توماتشفسكي: نظرية الأغراض، ص: 180.

[2] - تزفيطان تودوروف: مقولات السرد الأدبي ، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد صفا ضمن مجلة آفاق ،العدد 8-9-1988 ص31.

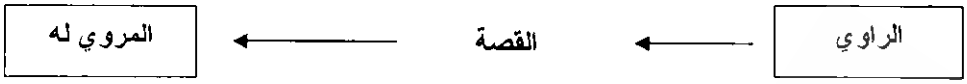

وأن السرد هو الكيفية التي تروي بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها،وما تخضع له من مؤثرات،بعضها متعلق بالراوي و المروي له،و البعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها"[1].

-البنية السردية للخطاب: إن هذه المكونات تشكل البنية السردية للخطاب وهي الراوي والمروي والمروي له ،يعرف الراوي بأنه الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء أكانت حقيقة أم متخيلة ،أما المروي له فهو الذي يتلقى ما يرسله الراوي.

أما المكون الثاني فهو المروي ويمكن تعريفه بأنه كل ما يصدر عن الراوي، و ينتظم لتشكيل مجموع من الأحداث تقترن بأشخاص ،يؤطرها فضاء من الزمان و المكان، وتعد الحكاية جوهر المروي،والمركز الذي تتفاعل عناصر المروي حوله، بوصفها مكونات له.

"إن الاهتمام المتأخر بالمروي له جعل البحث في البنية السردية أكثر موضوعية من ذي قبل،ذلك أن أركان الإرسال الأساسية من راوي ومروي له، قد استكملت مما يسهل فعالية الإبلاغ السردي الذي هو الحافز الكامن خلف الأثر السردي،و ينبغي التأكيد هنا على أن العناية بمكون المروي له تعود إلى الاهتمام الكبير الذي إثارته -نظرية التلقي- في أوساط المعنيين في السرديات"[2].

"إن النظرة إلى العلاقات التي تربط بين الراوي والمروي له تكشف أن كل مكون لا تحدد أهميته بذاته، إنما بعلاقته بالمكونين الآخرين وأن كل مكون سيفتقر إلى أي دور في البنية السردية إن لم يندرج في علاقة عضوية وحيوية معهما، كما أن غياب مكون أو ضموره،لا يخل بأمر

---

[1] - حميد لحمداني : بنية النص السردي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، ط:3 ،2000 ، ص: 31.

[2] - عبد الله ابراهيم: السردية العربية ،بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، الطبعة الثانية ،2000 ،ص: 20.

الإرسال و الإبلاغ والتلقي فحسب،بل يُقوّض البنية السردية للخطاب ولذلك فالتظافر بين تلك المكونات ضرورة ملزمة في أي خطاب سردي"[1].

-الرؤية السردية :يعبر عن هذا المفهوم باصطلاحات متعددة مثل : زاوية الرؤية والمجال ووجهة النظر ،والتبئير ،وهو التقنية المستخدمة لحكي القصة المتخيلة ،"علما بأن الذي يحدد شروط اختيار هذه التقنية هي الغاية التي يهدف إليها الكاتب عبر الراوي ،حيث يقدم الراوي القصة بأحداثها وشخصياتها وفضائها من خلال منظوره الخاص وقد عد "تودوروف" مجموع زوايا الرؤية السردية مجرد مظاهر للحكي ،علما أن هذا التقسيم إعتمده جون بويون (Jean-Poullion) وتبناه تودوروف لاحقا"[2] وصاغ هذه الأنواع في المعادلات الثلاث الآتية:

أ- الراوي (>) من الشخصية الحكائية (الرؤية من الخلف) .

ب- الراوي(=) الشخصية الحكائية (الرؤية مع) .

ج- الراوي (<) من الشخصية الرؤية (من الخارج).

-مظاهر حضور الراوي (السارد في الحكي) : إن دراسة حضور الراوي تعني اقتفاء أثر صوت الراوي داخل الحكي ،ويقتضي الكلام عن ذلك الإجابة عن السؤال:من يتكلم في الحكي أو في الرواية ؟ ، ثم الإشارة ثانية إلى تدخلات الراوي في الحكي ،وأخيرا الحديث عن تناوب عملية السرد في القصة، أي الحديث عن الحالة التي يتناوب فيها السرد عدد من الرواة ،إما أن يكون أبطالا في الوقت نفسه ،أو رواة لا علاقة لهم بالحدث الحكائي أي مجرد شهود"[3].

---

[1] - عبد الله ابراهيم: السردية العربية ،بحث في البنية السردية ، ص22.

[2] - سيزا أحمد قاسم :بناء الرواية ،دراسة مقارنة لثلاثية لنجيب محفوظ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1984، ص:132.

[3] -حميد لحمداني ، بنية النص السردي ،ص: 48.

- الوظائف السردية: بعد ضبط تواجدات السارد المختلفة في الخطاب السردي نـــذكر أهـــم الوظائف السردية في الخطاب:

-"وظيفة السرد نفسه: وهي بديهية إذ أن أول أسباب تواجد الراوي سرده للحكاية.

-وظيفة التنسيق: فالسارد يأخذ كذلك على عاتقه التنظيم الداخلي للخطاب، وقد يُنصُّ على هذه الوظيفة.

-وظيفة الإبلاغ: وتتجلى في إبلاغ رسالة للقارئ ،سواء كانت تلك الرسالة الحكاية نفسها، أو مغزى أخلاقيا أو إنسانيا.

-وظيفة التعليق :وهو النشاط التفسيري للراوي.

-الوظيفة الإفهامية أو التأثيرية :وتتمثل في إدماج القارئ في عالم الحكاية ومحاولـــة إقناعـــه"[1] وغيرها من الوظائف.

[1] سمير المزروقي جميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، ط1، 1985، ص:86 ص110.

I-الرؤية السردية:

تظهر البنية الخارجية لخطاب السورة كسياق سردي تتابعت في نطاقه ثلاث قصص ،حيث استعرض الخطاب قصة آدم عليه السلام وقصة الرسول ﷺ على تفاوت في سعتها السردية ،وقصة موسى عليه السلام بسعة سردية أوسع ،وذلك بالنظر إلى ما أعقبها من قصة آدم عليه السلام ،وما توزع خلالها من قصة الرسول الله ﷺ يجمع هذه القصص مغزى إيحائي واحد، بالإضافة إلى عرض مشاهد الجزاء والآخرة في حقول زمنية تنوع خلالها السرد بتنوعها .

-فأختص الزمن الماضي بأحداث موسى عليه السلام وآدم عليه السلام بالسرد اللاحق.

-واختص زمن المتلقي الأول زمن الرسول ﷺ بالسرد المتزامن .

-واختصت أحداث الآخرة (الزمن الأخروي) بالسرد السابق.

صدرت في مجملها عن ضمير سردي يحيل على الغائب، والسارد فيها سارد كلي العلم غالبا ما يأخذ وظيفة فاعل مرسل ،إذ يسيطر ضمير المتكلم في المفرد والجمع على تطوير الأحداث، وتحديد البرامج السردية، وتبئير الشخصيات وعرض الجزاء الذي يلحق المساندين والمعارضين لدعوة الحق في مفاعلة سردية موضوعية ،"الإطار التبئيري فيها مرتبط بجدلية تبليغ تتصل بفاعل مرسلي يتحرك بإرادة فاعل كلي (الله ﷻ) يجسد الغياب والحضور في ذات الآن يلقن مرسله المبادئ ويقحمه في الوسط الاجتماعي المتردى ،ويمكنه من الحجة ويعضده بالتوجيه فينخرط الفاعل في أداء وظيفته التصحيحية ،ضمن ظروف مضادة،حتى إذا استنفذ الفاعل الرسول إمكانيات الفعل ، والاستجابة الايجابية تداركه الفاعل الكلي برحمته ونصرته مترلا عقابه الإلهي على المكذبين[1].

[1] سليمان عشراتي : الخطاب القرآني ،ص: 195.

1-الرؤية السردية في قصة موسى:

يفتتح السارد الكلي العلم ﷻ القصة بالآية ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾[طه الاية 09] بتوجيه الخطاب إلى الرسول الله ﷺ فينفتح بترهين الحدث الماضي في الزمن الحاضر ،المزامن للمتلقي الأول ذلك أن دلالة لفظ حديث في السياق تعنى تحديدا إخباريا لوقائع حدثت في زمنية ماضية.

حيث شكلت الاية كل المكونات التي تقوم عليها البنية السردية للخطاب ،سارد ومسرود له وخطاب سردي ،يشمل شخصيات فواعل في فضاءات زمنية ومكانية أحالت عليه عَلَمِية الاسم (موسى) الذي يحمل إيعازا زمنيا مكانيا يتحدد به إطار القصة التاريخي والجغرافي بأبعاده الحضارية.

السارد المبئر: وهو الله ﷻ يقدم سردا إبتدائيا ،حيث يفتتح القصة وينهض بالفعل الحدثي داخل إطارها كفاعل ومحاور ومرسل،ويقوم بتبئيرٍ كليٍ لها ،يبئر الشكل والفضاء والقصة ككل تبئيرا داخليا وخارجيا ،وحضوره على مستوى الخطاب يهيمن عليه ضمير المتكلم في الجمع والمفرد ،والمسرود أو المبَئر يُستَعرضُ من خلال إطار محدد ،مجال الرؤية فيه موجه ومركز على وقائع سردية تتعلق بتجربة الدعوة ،كما عاشها الفاعل الرسول مع قومه والمصير الذي آلت إليه، ليوحي للمتلقي من خلال أحداثه غايات محددة .

المسرود له: ويظهر في الآية السابقة من خلال ضمير المخاطب ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾، فالضمير يحيل على المسرود له ،الذي سيق من أجله السرد وهو رسول الله ﷺ ،ومرجع الضمير لم يُحَدَّد صراحة ،ولكن السياق التاريخي للخطاب يقرر أن المتعين هو :الرسول ﷺ وهو في الوقت نفسه فاعل مرسَل.

وتتميز صيغة الخطاب بتناوب بين صيغتي الأخبار أو النقل والسرد المباشر ،"والسرد في القرآن يعتمد الموقفية أو يزاوج بين المشهدية و الموقفية ،إذ الحوار هو دعامة الموقف باعتباره يترجم

الحدث السردي في حيويته وتعبيريته الموضوعية ،وأكثر ما يترادف المستوى السردي المشهدي بالمستوى السردي الموقفي في الموقف من خلال حواريته بالعناصر البشرية، والمادية المشكلة للمشهد)[1].

نقوم بتتبع صيغ الخطاب في قصة موسى المعتمد على صيغة النقل المباشر ،والسرد المباشر فبعد أن أعلن السارد بداية السرد بآية ﴿وهل أتاك حديث موسى ﴾ ينطلق الخطاب بالسرد المباشر لرؤية موسى النار ،ويختتم بنقل مباشر ينقل خلاله خطاب موسى لبني إسرائيل، وتعريفهم بالألوهية الحقة بعد حرق العجل ونسفه على رأي من يقول: أن الآية ﴿ إنما إلاهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما﴾ [طه الآية 98] هي حكاية لكلام موسى عليه السلام .

يلي ذلك الإعلان عن إختتام السرد ،والتبئير الكلي للقصة بعد اكتمالها بقوله: ﷻ ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾[طه الآية99] على أنه ليس مجرد انهاء للسرد ،وإنما يأخذ وظيفة تأثيرية تتمثل في إدماج المتلقي في عالم القصة ،ومحاولة إقناعه وتحسيسه كما كان للمقدمة ،بالاضافة إلى الإعلان عن بداية السرد التشويقي.

و بإعتبار قصة موسى عليه السلام متتاليتين وظيفتين ذات برنامجين سرديين ،يتمثل الأول في إرادة السارد تبليغ الدعوة كفًّا لطغيان فرعون ،وإنقاذا لبني إسرائيل في المتتالية الأولى وإصلاح الانحراف وإيتاء التوراة في المتتالية الثانية ،بعد أن انحرف بنو إسرائيل إلى عبادة العجل .يفاعل السارد الأحداث من خلال الفاعل المرسَل ،فيكون له تدخل متعدد في المرحلة الأولى، مرحلة تحريك السرد أثناء تكليم موسى عليه السلام فتأخذ صيغة السرد صيغة النقل المباشر لتصريحات الفاعلين في العملية التواصلية ،ويلي هذا التدخل في الأحداث أثناء تأزم الفاعل المرسَل موجها ومعينا خلال مراحل الدعوة في المشهد الحواري مع فرعون ،وهو يبلغه مبادئ الرسالة ،ويطلب منه بأمر الله

[1] سليمان عشراتي ،الخطاب القرآني، ص:196.

إرسال بني إسرائيل ،وكذلك في مشهد المنازلة بين موسى وهارون ومعجزة العصا من جهة، وفرعون وسحرته وحبالهم وعصيهم من جهة أخرى ،على مرأى من الناس الذين حشروا ضحى يوم الزينة، أما في المرحلة الأخيرة فيتدخل السارد بتناوب بين صيغة النقل المباشر والسرد المباشر لحادث إنفلاق البحر وإنجاء بني إسرائيل ،وإغراق فرعون وجنده، لتختتم هذه المتتالية بموقف تأويلي بالمرحلة التأويلية مع اختتام البرنامج السردي الأول الأساس للمرسل الفاعل، وإخفاق البرنامج الضد للفاعل الضد ،حيث يبئر السارد بمحمل سلوك فرعون الرافض لدعوة موسى ،وماله الجزائي بقوله ﷻ ﴿وأضل فرعون وما هدى﴾[طه الآية79].

ثم تبدأ المتتالية الثانية ساردة تجربة موسى عليه السلام الداخلية مع بني إسرائيل فيعمل السارد على استطالة السرد، وامتداده، وانتهائه إلى الغاية التي اختيرت من أجلها زاوية النظر ،باعتبارها مسالة تقنية، ووسيلة لبلوغ هذه الغاية ،اضافة إلى تقنية الإبقاء على شخصيات تمثل الخيط الرابط بين المتالية الأولى، والمتتالية الثانية، وهي الشخصية المتمثلة في الفاعل المرسَل والشخصية الجماعية المتمثلة في بني إسرائيل لتظهر بذلك وظيفة التنسيق والتنظيم لأجزاء السرد الذي ابتدأ في المتتالية الثانية بنقل خطاب السارد بصيغة غير مباشرة باستخدام ضمير الغائب في توجيه الخطاب إلى بني إسرائيل الذين يأخذون موقع المسرود له في المستوى الثاني للسرد،حيث يقص السارد أخبار إنجائهم عليهم لتأخذ وظيفة السارد وظيفة مزدوجة ،فهو سارد فاعل من جهة ،وسارد راو من جهة أخرى، وتلك خاصية السارد الكلي القرآني، إذ هو يجمع الوظائف السردية جملة سواء باشر السرد بالغيبة أو بالحضور وتُختم المتتالية بصيغة النقل المباشر لخطاب موسى إلى بني إسرائيل بعد إصلاح الافتقار

الـــــديني المـــــذكور في المرحلـــــة البدئيـــــة، وكـــــان تـــــدخل الســـــارد أثناء هاته المتتالية الثانية من خلال أخبار موسى بفتنة السامري لبني إسرائيل ،بنقل المباشر وكـــذا المشهد الأخير أثناء معالجة موسى لهذا الانحراف حيث نقل الخطاب محاورته لبني إسرائيل وهارون والسامري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرؤية والصيغة السردية في المتتالية الأولى لقصة موسى عليه السلام :

المشهد الأول

سرد مباشر	نقل مباشر:	سرد مباشر من الدرجة الثانية
رؤية موسى النار +	مرحلة التكليم وتكليفه +	السارد: الله عز وجل
والوصول إليها	وأخيه بالدعوة	المسرود له: موسى عليه السلام
		المسرود:حياته مركزة من الوضع
		إلى التكليم (اللاحقة)
[الآيات من 9-11]	[الآيات من 12-36]	[الآيات من 37-40]

المشهد الثاني

حذف مقدر	نقل مباشر	سرد مجمل:
بصيغة السرد: +	دعوة فرعون إلى التوحيد	يبئر موقف فرعون من
مابين لقاء موسى	والطلب منه إرسال بني +	الآيات التي عرضت عليه
هارون وذهابهما إلى فرعون	إسرائيل	
	[الآيات من 49-55]	[الآية :56]

المشهد الثالث:

مجابهة السحرة	نقل مباشر	سرد مباشر
وتدخل السارد في	الفعل الإعلامي (الوحي	ختام المتتالية
توجيه الصراع لصالح +	بالإسراء ليلا) +	حادث الإغراق
موسى		
[الآيات من 57-76]	[الآية :77]	[الآية :78]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرؤية والصيغة السردية في المتتالية الثانية لقصة موسى عليه السلام :

المشهد الأول

نقل مباشر:

بدون الفعل الإعلامي

إخبار السارد الفاعل المرسَل

بضلال قومه

[الآيات :من 83-85]

+

سرد مباشر

رجوع موسى إلى قومه

وتبئيره داخليا

(الغضب ،الأسف)

[الآية :86]

+

المشهد الثاني

نقل مباشر

لتصريحات الفاعل

وقومه والسامري

السارد: قوم موسى

المسرود : قصة الفتنة

المسرود عليه :موسى

[الآيات من 87-94]

المشهد الثالث

نقل مباشر:

مستوى ثان من السرد

السارد : السامري

المسرود عليه:موسى

المسرود:قصة العجل

[الآيات من 95-97]

+

نقل مباشر

خطاب موسى لبني إسرائيل

بدون الفعل الإعلامي

[الآيات من 98]

المشهد الرابع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في ضوء البيانين السابقين نخلص إلى أن التقنية التي قدم من خلالها خطاب السورة حديث موسى تناوب بين السرد والنقل،حيث بدأ المتتالية الأولى بالسرد ،وختم به، من خلال استعمال ضمير المتكلم ،وتراوحت تدخلات السارد بين الحضور والغياب ،بالإضافة إلى تعدد المشاهد الحوارية، حيث قام الحوار فيها بمهمة الإخبار والعرض معا ،وقد رجحت كفة الحوار في المشاهد على كفة العرض والسرد.

"وتزاوج الإخبار والسرد الحواري في بناء القصة، أكسب النص القرآني في عامته رجاحة إخبارية مباشرة ،بالنظر لطبيعة السياق ،فمتى كان السياق حواريا كان التعبير فيه موقفيا ،إذ تصريحات الشخصية أو الشخصيات تذيع الحدثية، وتنير ملابساتها،في أصالتها الحدثية ومتى كان السياق سرديا خارجيا كان الكشف مشهديا، قيمته الأدائية الإفصاحية مشروطة بزاوية الرؤية أو بوجهة التناول"[1].

وقد أشاد جيرار جنيت في كتابه خطاب الحكاية بهذه الصيغة الحوارية حيث عدها " إحدى أكبر طرق تحرر الرواية الحديثة فقد قامت على دفع محاكاة الخطاب هذه إلى أقصى مداه بل إلى منتهاه،وهي تطمس آخر آثار المقام السردي ،وتعطي الكلمة فورا للشخصية"[2].

2-الرؤية السردية في قصة آدم عليه السلام:

يفتتح السارد وهو الله ﷻ باستثارة المتلقي إلى مزيد من السرد إذ يقول﴿ وقل رب زدني علما﴾ ، ليرتد الخطاب إلى عمق الزمنية في فضاء غيبي ،يمثل الجنة وما حدث فيها من امتحان لآدم مع إبليس ،حيث يبدأ السرد بمجمل يلخص الأحداث التي أدت إلى إخراج آدم من الجنة واهباطه إلى الأرض ،في متتاليتين وفضائين ،فضاء غيبي وفضاء حسي ارضي ،حيث بأر السارد آدم داخليا

---

[1] -بسليمان عشراتي ، الخطاب القرآني ،ص: 211.

[2] -جرار جينيت ، خطاب الحكاية بحث في المنهج ترجمة محمد معتصم ،عبد الجليل الازهدي ،عمر الحلي ، منشورات الاختلاف الجزائر الطبعة الثالثة ، 2003 ،ص: 187.

بصيغة السرد المباشر ،هذه الصيغة المهيمنة في الخطاب لصالح الحدث بصيغة الأخبار بضمير المتكلم في الجمع الذي يحيل على السارد الكلي العلم المولى ﷻ.

3-الرؤية السردية في قصة محمد ﷺ:

اختص زمن المتلقي الأول : الرسول ﷺ بالسرد المتزامن ،حيث أفتتح الخطاب بصيغة السرد وانتهى به ،وتشمل الاية الأولى: ﴿ طه ما أنزلنا عليك القران لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾ [طه الاية 2-3] ،البنية السردية المشكلة للقصة الإطار ،التي ينطلق منها السرد في حركية تراوحت بين عمق الزمنية الماضية مع آدم ،إلى السرد السابق الذي يبئر أحوال المعارضين ،والمتبعين لهدايات السماء ،والسارد هو الذي يحيل عليه ضمير المتكلم في الجمع ﴿أنزلنا﴾ ،و المنزول هذا القرآن بما فيه من الخطابات السردية التي تحكى تجربة النبوة عبر التاريخ ،وقد هيمنت صيغة النقل المباشر على أحداث قصته المفتوحة ،فعرضت أقوال المشركين فيما يتعلق بالنبوة ،ودحظتها ،وركزت على الجزاء من خلال توجيه المشركين إلى مصارع القرون المعرضة قبلها.

II-المستويات السردية في القصص الثلاث:

1-السرد من الدرجة الأولى:

صدرت القصص الثلاث قصة الرسول ﷺ وقصة موسى عليه السلام وقصة آدم عليه السلام عن سارد كلي العلم ،مشارك في الأحداث أخذ وظيفة الفاعل المرسل :

في قصة الرسول الله ﷺ تمثل ذلك في قوله ﷻ ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ [طه الآية 2] .

وفي قصة موسى عليه السلام قوله ﷻ ﴿و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾ [طه الآية 13] .

أما في قصة آدم عليه السلام فقوله ﷻ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزما﴾ [طه الآية 115].

يقدم لهذه القصص الثلاث سردا إبتدائيا من الدرجة الأولى ،وهو متضمن في الحكاية ويشغل فيها وظيفتان في آن واحد، فهو راوٍ من داخل الخطاب، يفتتح السرد وينهض بالفعل الحدسي داخل إطارها كفاعل مرسل،ومحاور ومصدر تقرير وحسم لتطورات البرامج السردية للفاعلين الثلاث ،يتدخل في السرد إقرارا لإرادته في المواقف الحاسمة أثناء أحداث الحكاية ،ويهيمن ضمير المتكلم على الخطاب ساردا ومبئرا.

يشير إلى ذلك قوله ﷻ: ﴿ وهل أتاك حديث موسى ﴾[طه الآية 09].

2-السرد من الدرجة الثانية :

أو ما يسمى بالحكي داخل الحكي ،حيث يحافظ سارد السرد الإبتدائي عن نفس الوظيفة والصورة ،في اللاحقة التي يتحول فيها موسى عليه السلام - والذي هو في الأصل شخصية من شخصيات القصة الأولى - إلى مسرود له ،والعلاقة بين درجتي السرد الأول ،والثاني علاقة تفسير يُذَكر بها السارد تسلسل أحداث حياة موسى عليه السلام - المسرود له – من الوضع إلى أن وصلت إلى لحظة التكليم .وذلك ما أشار إليه قوله ﷻ ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ [طه الآية 40].

أما في المتتالية الثانية من قصة موسى مع بني إسرائيل فيتأسس سرد المستوى الثاني من خلال سرد قوم موسى لما وقع لهم أثناء غيبته ،وكذلك سرد السامري قصة عجله وفتنته لبني إسرائيل.

المروي له (المسرود له) :

إن البنية السردية للخطاب يشترط لتحقيقها ثلاث مكونات أساسية متظافرة هي: الراوي والمروي ،و المروي له ،فإذا كان الراوي هو الذي ينشأ السرد ويقوم بإرساله من خلال موقعه ووجهة نظره،فإن المروي له هو المتلقي الذي يُتَوجّه إليه بالرسالة ،أو الخطاب السردي ،وقد تعدد المروي له في خطاب السورة وتعددت مستوياته بتعدد مستويات السرد.

المتلقي الأول :وهو الرسول الله ﷺ باعتباره نبيا مرسلا يبلغ ما يتلقى من التنزيل لغـــرض التذكير، وقد ظهر في الخطاب بضمير المخاطب المفرد وذلك في الآيات الآتية :

قوله ﷻ ﴿ ما أنزلنا عليـــك القرآن لتشقى﴾ [طه الآية 02].

وقوله ﷻ ﴿وهل أتـــاك حديث موسى﴾ [طه الآية 9].

وقوله ﷻ ﴿كذلك نقص عليـــك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكر﴾[طه الآية 99].

والمتلقي العام للخطاب القرآني : وهم الذين يبلغهم الرسول ﷺ ما تلقاه من الوحي هدايـــة لهم وتذكيرا .

أما في السرد من الدرجة الثانية فيظهر موســـى مســـرودا لـــه مـــن طـــرف الســـارد الكلي العلم، الذي يقص عليه قصته من الوضع إلى البعثة ،وسرد السامري قصة صناعة العجـــل، كما يحتوي الخطاب مسرودا له غير مباشر ،وهم المعرضون عن الذكر وقد ظهروا في الخطـــاب بضمير الغائبين في قوله ﷻ ﴿أفلم يهد لـــهم كم أهلكنا قبلـــهم مـــن القـــرون يمشـــون في مساكنهم إن في ذلك لآيات للأولى النهى﴾[طه الآية 128].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

III- الوظائف السردية:

تعددت الوظائف التي نهض بها السارد في خطاب السورة وأهم هذه الوظائف هي :

1-الوظيفة السردية: حيث يبدأ السرد و ينهيه ،وقد ظهرت هذه الوظيفة في الخطاب بضمير المتكلم في الجمع:

قال ﷻ :﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[طه الآية 2]

و قال ﷻ : ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنّا ذكرا﴾[طه الآية 99] .

2- الوظيفة التنسيقة: وتجلت في تنظيم الخطاب،والربط بين أجزائه. فقد نسّق السارد الخطاب ،بحيث عرض قصص ثلاث أنبياء مفتتحا سرد كل واحدة منها بالحدث المركزي في التجربة النبوية لكل واحد منهم، وبيّن مآل المتبعين والمعرضين عن الهدايات الإلهية ،فباشر السرد في قصة آدم عليه السلام من مرحلة التحريك، أو الإثارة في قوله ﷻ ﴿ فإما ياتينكم مني هدى﴾ .

أما في قصة موسى فقد بدأ السرد من وسط المتن الحكائي (إستباق) بحادث التكليم وما تلاه من مراحل الدعوى بعد ذلك.

وكذلك في قصة النبي صلى الله ﷺ، قوله ﷻ : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾. لغاية غرضية موحدة لهذه المنظومة السردية.

3-الوظيفة التفسيرية:تخللت أخبار الرسول ﷺ بنية الخطاب ،فقد استهل السرد بها ليعقبها قصة موسى عليه السلام منظرا حالة ومراحل دعوته ومقاصدها ،بحال الرسول ودعوته وما يلقاه في سبيل ذلك ،ثم يعمم الخطاب هذه الظاهرة في تفسير كلي للوجود، وقيم التاريخ مع آدم عليه السلام في إطار التوحيد والنبوة والجزاء.

4-الوظيفة الغرضية: تعددت أغراض مجموعة القصص التي وردت في خطاب السورة، وقد ذكر الرازي غرضين هما :" الأول: ليكون للرسول ﷺ و لأصحابه إسوة بمن سلف من الأنبياء ،فإن

الرسول إذا سمع أن معاملة هؤلاء الكفار مع كل الرسل ،ما كانت إلا على هذا الوجه ،خف ذلك على قلبه .

والثاني :أن الكفار إذا سمعوا هذه القصص علموا أن الجهال ،وإن بالغوا في إيذاء الأنبياء المتقدمين، إلا أن الله ﷻ أعانهم ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم ،كان سماع هؤلاء ،الكفار لأمثال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الوجل في صدورهم وحينئذ يقللون من أنواع الاذاء والسفاهة"[1].

[1] - الرازي الفخر ، التفسير الكبير مطبعة عبد الرحمان ابن محمد مصر الطبعة الأولى د . ت ، جزء 5، ص:15.

الفصل الثاني: البنية الزمنية في سورة طه

I – مفهوم الزمن وتطوره:

1 – التحليل الزمني الكلي للخطاب.

2 – التحليل الزمني الكلي لكل قصة.

أ–الحقل الزمني الماضي.

–قصة موسى (دراسة الترتيب والإيقاع والتواتر).

–قصة آدم (دراسة الترتيب والإيقاع والتواتر).

ب–الحقل الزمني الحاضر (زمن التلقي الأول).

–قصة الرسول ﷺ (دراسة الترتيب والإيقاع والتوتر) .

ج–الحقل الزمني الأخروي.

–الزمن الأخروي في قصة موسى عليه السلام.

–الزمن الأخروي في قصة الرسول ﷺ.

–الزمن الأخروي في قصة آدم عليه السلام.

II – دلالة الزمـــــن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

I – مفهوم الزمن وتطوره:

إننا لا نستطيع ضبط تحديد دقيق لمفهوم الزمن تحديدا علميا ، وذلك شأننا مع سائر القضايا التجريدية، فللزمن مفاهيم متباينة ومتشعبة، تأخذ أبعادا شتّى في الفلسفات المختلفة، كما أن له معاني مختلفة نفسية ،واجتماعية ،ودينية ،وغيرها...

لقد حاول أكثر من مفكر وناقد وصف صعـــوبة القبض على معنى محدد للزمـــن: " إذا لم يسألني أحد عن الزمن فإنني أعرفه، وإذا أردت أن أشرحه لمن يسألني عنه فإنني لا أعرفه"[1]. وهذا التعبير يعبر عن مدى التعقيد الذي يكتنف قضية الزمن منذ دهور سحيقة. و" بهذه الصرخة عبر القديس أوغسطين عن موقفه من الزمن وهو على عتبة تأملاته التي ضمنها " الاعترافات" لا تخلو هذه الصرخة من دلالات وأبعاد عميقة.

وقد كانت مقولة الزمن وما تزال تثير الكثير من الاهتمام في مجالات معرفية متعددة ابتدأ التفكير فيه من زاوية فلسفية وخاض فيه الفلاسفة من منظورات تنطلق من اليومي لتطال الكوني والأنطولوجي، ودخلت في هذه المنظورات مجالات كثيرة فلكية، وسيكولوجية، ومنطقية، وغيرها...إن مقولة الزمن متعددة المجالات، يعطيها كل مجال دلالة خاصة، ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري والنظري"[2].

فالزمن بوصفه ظاهرة كونية، و باعتبار حضوره الحسي الدائم غير المرئي، معطى وجودي جوهري، تكتسب به وفي كنفه الموجودات هويتها ووظيفتها؛ أي تحيّزها المادي الفعّال في ذاتها ومع محيطها ضمن صيرورة كلية تحكم المادة في شتّى مظاهرها. أما من جانب وصفه عنصرا تجريديا، فقد ظل مقرونا بالميتافيزيقا؛ فقضايا مثل: القدم والحدوث، ومآل الوجود، وغيرها كلها قضايا تتمحور في هوية الزمن.

لقد تعاقبت على دراسة الزمن تيارات فلسفية عديدة؛ قديمة وحديثة، ومحاولة تتبع آرائها يخرج بنا عن مسارنا ذي الوجهة النقدية. ومع ذلك فإنه يمكننا الوقوف على أمـــثلة من هذه الآراء على نحو موجز.

-إذ يرى إبن رشد أن الزمن والحركة متلازمان، ويؤكد استحالة الفصل بينـــهما فيقول: "إن تلازم الحركة والزمان صحيح، وأن الزمان هو شيء يفعله الذهن في الحركة، لأنه ليس يمتنع

---

[1] - أ.أ. مندلاو: الزمن والرواية. ترجمة: بكر عباس. دار صادر. بيروت1997. ص:182.
[2] - سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي. ص:61.

وجود الزمان إلا مع الموجودات التي لا تقبل الحركة، أما وجود الموجودات المتحركة أو تقدير وجودها فليلحقها الزمان ضرورة"[1]. فالأحداث لا تنفصل، بحال من الأحوال، عن إحداثياتها الزمانية والمكانية حيث يمثلان ركيزتي العالم العقلاني(Rationnel) الإنساني.

وفي الفلسفة الحديثة، يكتسب كتاب "جدلية الزمن" لغاستون باشلار أهمية استثنائية؛ فهو الذي حاول من خلاله أن يؤسس لما سماه (علم نفس الزمان) حيث ذهب يقول: "الفلسفة النفسية لم تعد سوى فلسفة زمنية"[2]. أما فيما يخص مقولة الزمن كأحد مكونات الخطاب السردي، فقد كان الدور الذي لعبه الشكلانيون الروس رائدا في توجيه النظر إلى الجوانب البنيوية في تحليل الخطاب الأدبي ما جعله يمثل حقبة جديدة في النقد ،والدراسات الأدبية، وأن من جاء بعدهم أعطى أبعادا جديدة لمنطلقاتهم وأبحاثهم. "إن الشكلانيين كانوا من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب ومارسوا بعضا من تحديداته على الأعمال السردية المختلفة، وقد تمّ لهم ذلك حين جعلوا ارتكازهم ليس على طبيعة الأحداث في ذاتها، وإنما على العلاقات التي تجمع بين تلك الأحداث وتربط أجزاءها"[3]ويتصل بمسألة الزمن عند الشكلانيين القضيتان اللتان ناقشهما (بوريس توماتشيفسكي(Boris Tomashevesky)، وهما: المتن الحكائي الذي يعرفه بأنه مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والمبنى الحكائي الذي يتألف من الأحداث نفسها لكنه يراعي نظام ظهورها في العمل الأدبي.

وانتقل هذا التقسيم الثنائي إلى البنيويين والسرديين، كتودوروف، وجينيت بعده، وغيرهما ليأخذ عندهم تسمية القصة (Histoire)، والخطاب(Discours).

فالمتن الحكائي هو المادة الأولية للسرد، أو بعبارة أدق، الأحداث التي يفترض أنها وقعت في الحياة، أو يمكن تصور وقوعها بمراعاة منطق التابع والتراتب. يقول توماتشفسكي: " إننا نسمي متنا حكائيا مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها والتي يقع إخبارنا بها من خلال العمل، إن المتن الحكائي يمكن أن يعرض بطريقة عملية حسب النظام الطبيعي بمعنى النظام الوقتي والسببي للأحداث وباستقلال عن الطريقة التي نظمت بها تلك الأحداث أو أدخلت في العمل"[4]. وهذه الأحداث لا تنفصل بحال عن الشخصيات التي صدرت عنها في إطار من الزمان والمكان. والمبنى

---

[1] - ابن رشد: تهافت التهافت، تقديم وتعليق: محمد العريبي، دار الفكر اللبناني. 1993. ص: 63.
[2] - غاستون باشلار: جدلية الزمن، ترجمة: خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص: 15.
[3] - حسن البحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص:107.
[4] - توما شيفسكي: نظرية الأغراض، ص:180.

الحكائي(Sujet) هو البناء أو السرد أو التقديم الخطابي الذي يتم بمقتضاه إدخال تلك الأحداث في العمل الأدبي بعد إعادة ترتيبها وعرضها فنيا على المتلقي " أي المتن الحكائي مرويا أو مكتوبا في حالة خضوعه لقواعد الحكي وأنساقه"[1]. ففي مقابل المتن الحكائي، يوجد المبنى الحكائي الذي يتألف من نفس الأحداث، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا، وإذا كانت المقارنة بين القصة والخطاب تشير إلى جهد الراوي في إحداث النقلة وتشكيل العالم المتخيل ،أو إرسال الخطاب عبر وجهة نظره الخاصة ،مما يعني تبئيره لكل ما يرى ، أو يقوم بنقله إلى متخيله السردي، فإنها تشير كذلك إلى ما اشتمل عليه الخطاب من تحريف في زمن القصة ،ما يستدعي تغيير التتالي الطبيعي للأحداث في القصة.

و"تطرح قضية الزمن بسبب وجود زمنين تقوم بينهما على علاقات معينة زمنية العالم المقدم وزمنية الخطاب المقدم له، وهذا الاختلاف بين نظام الأحداث ونظام الكلام بديهي ولكنه لم ينل حظه كاملا من النظرية الأدبية إلا عندما اعتمده الشكلانيون الروس كقرينة من القرائن الأساسية لإقامة تعارض المتن (نظام الأحداث) والمبنى (نظام الخطاب)"[2].

حيث يرى تودوروف أن العمل السردي الأدبي في مستواه العام ذو وجهين: " فهو قصة وخطاب في الوقت نفسه، بمعنى أنه يثير في الذهن واقعا ما، وأحداثا قد تكون وقعت وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية...غير أن العمل الأدبي خطاب في الوقت نفسه فهناك سارد يحكي القصة أمامه قارىء يدركها"[3].

وبناء على هذا، صنف تودوروف العمل السردي إلى: الحكي(Recit) كقصة، والحكي(Recit) كخطاب. ورأى أن الجانب الثاني أكثر أهمية وهو المعول عليه في فهم الأبعاد الفنية والجمالية لأي عمل سردي " وعلى هذا الأساس ليس الأحداث التي يتم نقلها هي التي يهم إنما الكيفية التي بها أطلعنا السارد على تلك الأحداث"[4]. وعلى الرغم من الصعوبة التي واجهته في التمييز بينهما إلا أنه وقف على الفروق الفاصلة. فقسم القصة إلى مستويين:

أ – مستوى منطق الأفعال الروائية.

---

[1] - توما شيفسكي: نظرية الأغراض، ص:228.

[2] - تزفيتان تودوروف: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1990، ص: 48.

[3] - تزفيتان تودوروف:مقولات السرد الأدبي،ترجمة: الحسين سبحان وفؤاد صفا،ضمن مجلة آفاق، ع9/8، 1988، ص31

[4] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ب – مستوى الشخصيات وعلاقاتها.

وقسم الخطاب السردي إلى ثلاثة مكونات:

أ – زمن الحكي: وهو قياس العلاقات بين زمن القصة وزمن الخطاب.

ب – جهات الحكي: وهو الطريقة التي تحكى بها القصة بواسطة السارد.

ج – صيغ الحكي: وهي نوع الخطاب الذي يستعمله سارد يقوم بإبراز القصة للقارىء.

"بالنسبة لزمن الحكي، فإنه يتضمن نوعين من الزمن: زمن القصة وزمن الخطاب. يكون الأول متعدد الأبعاد؛ إذ يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد. لكن زمن الخطاب ملزم بأن يرتبها ترتيبا متتاليا يأتي الواحد منها بعد الآخر، لأغراض جمالية يراها الكاتب. فالأول زمن واقعي، وأما الثاني فهو زمن فني. ويُدخل تودوروف ضمن هذين الصنفين من الزمن زمن الكتابة (التلفظ) وزمن القراءة (الإدراك) بعدّهما عنصرين أدبيين حينما يتم نقلهما إلى القصة "[1].

أما الناقد جيرار جينات (Gérard Genette)، فيحلل الزمن السردي من خلال محددات أساسية هي: الترتيب(Ordre)، والمدة(Durée)، والتواتر(Fréquence)،وفي ضوئها درس أنواع العلاقات الزمنية بين الخطاب و القصة وفقا لما يأتي .

1 – علاقات الترتيب: وذلك بالمقارنة بين الترتيب الزمني لتسلسل الأحداث في القصة والترتيب الزمني لمقاطع الخطاب.

2 – علاقات المدة: وذلك بمواجهة الاستغراق الزمني بين زمن القصة،وزمن السرد وملاحظة الإيقاع الزمني (السرعة) من خلال الحركات السردية الأربع.

3 – علاقات التواتر: ويدرس في ضوئها مدى تكرار الحدث في القصة وتكراره في الخطاب.

---

[1] - تزفيتان تودوروف:مقولات السرد الأدبي، ص42.

أولا: الترتيب (**Ordre**)، وله حالتان:

1- حالة التطابق والتوازي: حيث تكون هذه الحالة عندما يتوازى ترتيب الأحداث في السرد مع ترتيب الأحداث في القصة، فلو فرضنا أن قصة ما تحتوي على مراحل حدثية متتابعة منطقيا على الشكل الأتي:

أ ← ب ← ج

فإن سرد هذه الأحداث في رواية ما سيتخذ في حالة التطابق الترتيب نفسه :

أ ← ب ← ج

وهذا النوع من السرد يغلب على النصوص السردية الكلاسيكية والبسيطة.

2-حالة التنافر: تظهر هذه الحالة عند إعادة ترتيب الأحداث في الخطاب وتحديد ظهورها وفق نظام زمني يختلف عن ترتيبها في القصة عبر تقنيات المفارقات الزمنية كالاسترجاع (اللواحق)، والاستباق (السوابق)، يقول جينيت: " ندل بمصطلح استباق على كل حركة سردية تقوم على أن يُروى حدث لاحق أو يُذكر مقدما وندل بمصطلح استرجاع على كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة ،ونحتفظ بمصطلح المفارقة الزمنية- الذي هو مصطلح عام- للدلالة على كل أشكال التنافر بين الترتيبين الزمنيين"[1].

مع الإشارة إلى ضرورة التمييز بين نوعين من المفارقة الزمنية؛ فقد يتابع الراوي تسلسل الأحداث طبقا لترتيبها في القصة، ثم يتوقف راجعا إلى الماضي ليذكر أحداثا سابقة للنقطة التي بلغها في سرده، كما يمكن كذلك أن يطابق هذا التوقف نظرة مستقبلية ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد بعد.

يقول جينيت: " يمكن المفارقة [ونعتقد أن الصواب للمفارقة] الزمنية أن تذهب في الماضي أو في المستقبل بعيدا ،أو قليلا عن اللحظة الحاضرة- أي عن لحظة القصة التي توقف فيها الحكاية لتخلي المكان للمفارقة الزمنية: سنسمي هذه المسافة الزمنية مدى المفارقة الزمنية ويمكن للمفارقة نفسها أن تشمل أيضا مدة قصصية طويلة كثيرا أو قليلا- وهذا ما نسميه سعتها"[2].

ومن المفيد أن نتبين أن عملية سبق الأحداث أو الرجوع إلى الأحداث الماضية أي السوابق واللواحق تنقسم إلى سوابق ولواحق ذاتية وسوابق ولواحق موضوعية.

---

[1] - جيرار جينات: خطاب الحكاية، ص: 51.

[2] - نفسه ، ص:59.

أ – سوابق ولواحق ذاتية: Prolepses ou Analepses subjectives،يتصل هذا النوع من المفارقات بالشخصية التي هي تحت مجهر السرد،والتي يذكر السارد أفكارها،فإن تعلقت الأفكار بالماضي وردت في شكل ذكريات، فتلك لاحقة ذاتية، وإن ذكر السارد التطلعات المستقبلية لتلك الشخصية فتلك سابقة ذاتية.

ب – سوابق ولواحق موضوعية: Prolepses ou Analepses objectives، في حالة إيراد سابقة أو لاحقة موضوعية فإن الأمر يتعلق بالسارد الذي يرى أنه من المفيد العودة بالمسرود له إلى الوراء لإعطائه معلومات إضافية عن تاريخ إطار مكاني أو ماضي شخصية ما وأن يعلمه مسبقا بمآل السرد حتى يحدث في نفسه تشويقا لمعرفة الأحداث التي ستقود إليه.

وظائف المفارقات الزمنية:

1 – وظائف اللواحق: للواحق وظائف عدة أبرزها:

أ – إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر القصة (شخصية-إطار-...)

ب – سد ثغرة حصلت في النص القصصي أي استدراك متأخر لإسقاط سابق مؤقت ويسمى هذا الصنف اللواحق المتممة أو الإحالات (Analepses complétives ou renvois).

ج – تذكير بأحداث ماضية وقع إيرادها فيما سبق من السرد، أي عودة السارد بصفة صريحة أو ضمنية إلى نقطة زمنية وردت من قبل ويسمى هذا الصنف باللواحق المكررة أو التذكير (Analepses répétitives ou rappels)، ولهذه اللواحق وظيفة جد هامة رغم ضعف حجمها النصي وكونها مقاطع نصية لا تساعد على تقدم سير الأحداث إذ هي تبرز القيمة الدلالية الخاصة لبعض عناصر القصة، وقد يساعد هذا الصنف من اللواحق على القيام بمقارنة بين وضعيتين كأن يقارن السارد بين وضعية الفاعل الحالية ووضعيته في بداية الحكاية أو القصة سواء كان ذلك لإبراز تشابه الوضعيتين أو اختلافهما، كما ترد هذه اللواحق في السرد تذكيرا بأحداث سابقة لتأويلها تأويلا جديدا حسب معطيات جديدة متأنية في الأحداث الواردة بعدها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2 – وظائف السوابق:

يمكننا قياسا على ما تقدم، التمييز بين السوابق المتممة (Prolepses complétives)، التي ترد لتسد مسبقا ثغرة لاحقة، وللسوابق المكررة (prolepses répétitives)، التي تضاعف بصفة مسبقة مقطع سردي آت. وللسوابق المكررة دور أنباء (Annonce)، ووظيفته في نظام الأحداث تتمثل في خلق حالة انتظار عند القارىء، وتهيئته لما سيحدث. " وبهذه الصفة تبدو دراسة البنية الزمنية للخطاب السردي من وجهة نظر الترتيب متشعبة وتنقسم إلى مراحل عديدة سنحاول تلخيصها فيما يأتي :

أ – التبيّن بواسطة العلامات النصية المتعلقة بالزمن من الترتيب الزمني للقصة.

ب – ترقيم الفصول الزمنية حسب موقعها الزمني في سياق القصة، وإرفاقها بحروف أبجدية حسب ظهورها في الخطاب بغية إبراز التنافرات الزمنية.

ج – تحديد صفات السوابق ،واللواحق بتميز الموضوعية منها،والذاتية.

د – التعرف بصفة دقيقة على وظائف هذه المفارقات [1].

هذا من جهة دراسة البنية الزمنية للخطاب من خلال محدد الترتيب.

ثانيا: علاقات المدة (Durée):

أما المدة، فتعتمد دراسة المدة ،أو الديمومة، على مقارنة مدة خطاب سردي ما بمدة حوادث القصة التي يرويها هذا الخطاب،أي ما يطلق عليها السرعة –وهي العلاقة بين قياس زمني وقياس مكاني–

.

تحدد هذه السرعة بالنسبة بين :

المدة :و هي مدة القصة مقيسة بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنين

والطول:الذي هو طول النص المقيس بالسطور والصفحات، وهذه السرعة متغيرة غير ثابتة بتسريعات وتبطيئات،ذلك أنه يمكن أن يعمل خطاب سردي بدون مفارقات زمنية، ولكنه لا يمكن أبدا أن يعمل دون آثار الإيقاع –أي تغيير السرعة– من خلال: "الحركات السردية الأربع ،وهي الحذف والوقفة الوصفية اللذين يقعان على طرفي نقيض، والمشهد، والمجمل اللذين يقعان في موقع متوسط بينهما"[2].

---

[1] – سمير المرزوقي-جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، الدار التونسية للنشر، ط1، 1985، ص:86.

[2] – جيرالد برنس: خطاب الحكاية، ص: 108.

ويمكن ملاحظة إيقاع السرد ،أو وتيرته في معالجة الأحداث عبر مظهرين أساسيين هما :

تسريع السرد الذي يشمل تقنيتي الخلاصة والحذف، حيث يغطي مقطع صغير من الخطاب فترة زمنية طويلة من القصة، ثم تعطيل الحركة ،أو إبطاء السرد ،ويشمل تقنيتي المشهد والوقفة، حيث يقابل مقطع طويل من الخطاب فترة قصصية ضئيلة. وترتد تلك الحركات الأربع في مجملها إلى التمييز المعروف بين طرفي الثنائية (القصة والخطاب)، والذي تفرعت عنه ثنائية أخرى هي (مدة القصة ،وطول الخطاب).

فإذا كانت القصة عبارة عن أحداث تقع في الزمن ،فتقاس مدتها بوحدات زمنية، فإن الخطاب في مظهره الحسي نسيج لغوي بأنساقه السردية،لذلك يعكس طوله من خلال وحداته، وهي الكلمات، والأسطر والصفحات.ويناسب طرفي هذه الثنائية (مدة القصة وطول الخطاب) تناسبا عكسيا فإن تسريع السرد بواسطة المجمل ،أو الحذف يترتب عليه زيادة مدة القصة وفي المقابل تقيس طول الخطاب في المكان.

إن إبطاء السرد بواسطة المشهد والوقفة الوصفية، يترتب عليه إيقاف أو تعليق زمن القصة وفي المقابل تحديد الخطاب في المكان ،(فتسريع القصة يؤدي إلى تحجيم الخطاب وتعطيل القصة يؤدي إلى تمديد الخطاب[1].

1 – تسريع السرد:وينجم عنه :

– المجمل (التلخيص): Sommaire

يعرفه جينيت بأنه:"السرد في بضع فقرات ،أو بضع صفحات لعدة أيام، أو شهور، أو سنوات من الوجود دون تفاصيل أعمال أو أقوال"[2]. أي أن التقنية تقنية زمنية تحقق تسارع السرد لكن بدرجة أقل من الحذف،وذلك باستعراض الأحداث بوتيرة متسارعة لا تراعي التفاصيل والجزئيات ،بل هي تركيب يقوم على النظرة العابرة، والعرض المختزل.

وكون هذا السرد أغلبه من نمط السرد اللاحق الذي يسود القصة بعد انتهاء أحداثها فكانت السمة الغالبة على المجمل،أو التلخيص هي خضوعها للاسترجاعات"فمن الواضح أننا لا نستطيع تلخيص الأحداث إلا بعد حدوثها بالفعل أي عندما تكون قد أصبحت قطعة من الماضي،

---

[1] - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء والزمن والشخصية، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي 1990، ص:189.

[2] - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص:145.

ولكن يجوز افتراضا أن نلخص حدثا حصل ،أو سيحصل في حاضر أو مستقبل القصه .وينقسم المجمل أو الخلاصة إلى خلاصتين:

– خلاصة محددة :وهي التي تذكر معها قرينة تدل على الزمن المختزل.

– خلاصة غير محددة: وهي التي ترد غير مصحوبة بقرينة تدل على الزمن المختزل.

إن للجمل بصفة عامة، مكانة محدودة في مجموع المتن السردي أمام الفصول الدرامية والوصفية؛ إذ يعتبر وسيلة لانتقال الأكثر شيوعا بين مشهد ،وآخر ،وبالتالي النسيج الذي يشكل اللحمة المثلى للخطاب السردي ،حيث يعتمد إيقاعه الأساسي بتناوب المجمل و المشهد، ولا سيما اللواحق والمقاطع الاستعادية ودراسة المجمل تعتمد على تحديده، وتبيان نوعه وتوزيعه حسب مواقع وروده في الخطاب.

– الحذف (القفز الزمني): Ellipses

الحذف تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث.

ويقسم جينيت الحذف إلى أشكال ثلاثة:

أ – الحذف المعلن (الصريح) Les Ellipses Emplicites: ويتم فيه تحديد المدة المسكوت عنها في السرد بعبارات زمنية تدل على موضع الفراغ الحكائي مثل (ومضت سنتان..).

ب – الحذف الضمنيles Ellipses Implicites: وهو الحذف الذي لا يصرح فيه الراوي بالمدة الزمنية المتجاوزة على نحو محدد بعبارة مثل (بعد مدة، بعد سنوات طويلة..).

ج – الحذف الافتراضيLes Ellipses hypothétique: حيث لا يصرح بالحذف وإنما يدركه المتلقي بمقارنة الأحداث بقرائن الحكي أي يستدل على وقوعه من خلال إدراك الثغرات الواقعة في تسلسل الحكي.

---

[1] – جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص:109.

2 – تعطيل السرد:

ويتم ذلك بواسطة تقنيتي المشهد والوقفة الوصفية التي تعطلان الزمن إلى حين انتهائها، فيستعيد السرد حينئذ حركته الطبيعية ويتمثل في :

– المشهد **La scène** :ويقصد به المقطع الحواري الذي يأتي في تضاعيف السرد ويمثل نوعا من التقابل بين زمن القصة وزمن الخطاب الذي يروي كل ما قيل من ردود متناوبة، وينقل تدخلات الشخصيات كما هي في النص أي بالمحافظة على صيغتها الأصلية، ويقع المشهد على طرف مناقض للمجمل، فإذا كان هذا الأخير اختصارا لأحداث عدة في أقل عدد من الصفحات، فإن المشهد عبارة عن تفصيل لأحداث بكل دقائقها ويتمحور حول الأحداث المهمة المشكلة للخطاب السردي عكس المجمل الذي يعمل على تقديم المواقف العامة والعريضة فقط.

وللمشهد وظائف متعددة يؤديها في الخطاب منها الإيهام بالواقع، وإضفاء الطابع الدرامي الذي يكسر رتابة السرد بضمير متفرد إلى تعدد في الأصوات من خلالها يتطور الحدث ويكشف عن الطبائع النفسية ،والاجتماعية للشخصيات.

ويعتمد الخطاب السردي في بنائه على تناوب بين المجمل والمشهد؛ فبينما يعتمد على المجمل في تهيئة الوضع البدئي للقصة، وتقديم الخطوط العريضة لها، يعتمد على المشهد في إبراز اللحظات الحاسمة ،أو المتأزمة في السرد، وقد يأتي المشهد في ختام الخطاب السردي، فيتتوج السرد بوقف مجرى الأحداث.

– **الوقفة الوصفية La Pause:**

الوقفة هي توقف مجرى الأحداث بالعدول عن السرد إلى الوصف، فتأخذ الوقفة موقفا مناقضا للحذف من حيث تأثيرها في إيقاع السرد، فبينما يوفر الحذف أقصى سرعة للسرد، تمثل الوقفة أقصى بطء يصيب السرد؛ إذ تعطل حركته تقريبا إلى حين انتهاء الوقفة التي تقوم بتشخيص الأشياء والكائنات أو تأمل بحيث تتعدد الرؤى والمشاعر اتجاه الموضوع المتأمّل. هذا فيما يخص تحليل البنية الزمنية للخطاب من جهة المدة. بقي المحدد الثالث والأخير وهو.

ثالثا– التواتر La fréquence:

وهو مجموع علاقات تكرار الحدث بين الخطاب والقصة، وبصفة نظرية يفترض وجود أربع حالات: الحدث المكرر أو غير المكرر، والملفوظ المكرر وغير المكرر. وينتج مايلي:- سرد مرة واحدة، ما حدث مرة واحدة.

- سرد أكثر من مرة، ما حدث أكثر من مرة
- سرد أكثر من مرة، ما حدث مرة واحدة
- سرد مرة واحدة، ما حدث أكثر من مرة

1 – السرد المفرد:

سرد ما وقع مرة واحدة ما وقع مرة واحدة " وهو السرد الذي يتوافق فيه تفرد الملفوظ السردي مع تفرد الحدث وهو الأكثر شيوعا"[1]. وكذلك من هذا الصنف أن يروى أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة، وهذا في الواقع شكل آخر للسرد المفرد لأن تكرار المقاطع يطابق فيه تكرار الأحداث في القصة. فالإفراد إذا يعرف بالمساواة بين عدد تكرار الحدث في الخطاب وعدده في القصة سواء أكان ذلك العدد فردا أم جمعا.

2– السرد المكرر:

وذلك بان يروى أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة، ويعتمد على طاقة التكرار، حيث يروى الحدث الواحد مرات عديدة مع متغيرات أسلوبية، وغالبا باستعمال وجهات نظر مختلفة.

3 – السرد المؤلف:

وذلك بأن يروى مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة، وفي هذا الصنف يتحمل مقطع سردي واحد تواجدات عديدة لنفس الحدث على مستوى القصة، وتكون المقاطع المؤلفة عادة في السرد الكلاسيكي خاضعة من الناحية الوظيفية للمقاطع المفردة. حيث تكون الأولى خلفية ممهدة لبروز الأحداث المفردة وتحريك السرد ولها صياغة .

استخدامية من مثل (كل يوم، أو الأسبوع كله...)[2].

---

[1] - جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ص:130.

[2] - المرجع السابق، ص:131.

إن التقديم النظري الذي صدرنا به هذا الفصل سنسترشد بجوانبه الأساسية في الكشف عن البنية الزمنية للخطاب السردي في سورة طه من خلال التقسيم الثنائي: زمن الوقائع السردية (القصة)، وزمن الخطاب.

أ – زمن الوقائع السردية: يظهر لنا زمن القصة في زمن المادة الحكائية، وكل مادة ذات بداية ونهاية وتجري في زمن. ولما كانت أحداث القصة القرآنية لم تؤشر بتاريخية محددة إلا لتدور أحداثها في عالم متحرر من القيود العرضية الظرفية إلا ما له علاقة بتطور الحدث، وتقديم العبرة. فإن استغناء القصة القرآنية عن إرساء المرجع الزمني ناتج عن اعتمادها الزمنية الوظائفية في تسلسل الأحداث ابتداء من الوضع الأصل الذي تشحن فيه المعاني الأولى، ويذكر فيه حصول الإساءة أو الافتقار الديني إلى الاختيار الحاسم الذي هو زمن الإنجاز والتغيير وانتهاء الوضع النهائي الذي تعكس فيه المعاني الأولى وبالتالي يمكن لنا استنباط التقابل الزمني الآتي:

الوضع الأصل ← عكس ← الوضع النهائي

ما قبل ← عكس ← ما بعد

نرى إذا، أن تغير المحتويات الدلالية هو الذي يشكل التقسيم الزمني للقصة، وبهذا الترتيب الزمني والمنطقي تنقل سيرة نبي من الأنبياء من التاريخ (القصة) إلى الخطاب السردي بفضل آليات السرد، وزمنيته كتوالي أحداث ،أو نسق وظائفي مع اعتمادنا في هذا البحث على مفهوم "كلود بريمون" للوظائف كوحدة قصصية أو وظيفية لا تلبث أن تشعب أو تختار اتجاها آخر بمنطق الممكنات القصصية الذي ينتظمها في متتاليات مع تحول العلاقة المنطقية إلى علاقة زمنية تركيبية لمجمل التحفيز.

ب–زمن الخطاب:هو تجليات تزمين زمن القصة وتمفصلاته وفق منظور خطابي متميز،ذلك "أن تصور الزمن داخل الخطاب القرآني يتطلب أن نميز بين:

– الزمن التاريخي أو الفترة الزمنية المتناولة.

– الزمن السردي المرتبط بحدث الجملة القرآنية ضمن سياقها الدلالي.

فهذان الزمنان داخليان من خلالهما يدخل الخطاب في علاقة مع أزمنة خارجية؛ زمن الوحي،الزمن التاريخي الموضوعي (عصر موسى عليه السلام) "[1]

---

1 سليمان عشراتي، الخطاب القرآني ، ص: 96.

فالسرد القرآني لا يحدد تاريخا حرفيا للقصة ، ولكن تتضمنه دلالة خطابه بصورة عامة من خلال:

– عَلَمية الأسماء مثل (موسى– محمد– عليهما السلام...)تحمل إيعازا زمانيا مكانيا يتحدد بـــه إطار القصة التاريخي والجغرافي بأبعاده الحضارية والعقدية بفنية سردية

الوحي الزمن التاريخي الموضوعي (عصر موسى عليه السلام مثلا).."[1]. فالسرد القرآني لا يحدد تاريخا حرفيا للقصة ولكن تتضمنه دلالة خطابه بصورة عامة من خلال:

تلميحية أكثر منها تصريحية.

– الإفادات الظرفية المرتبطة بتطور الحدث وتحديده عموما مثل (سنين – يوم الزينة – ضحى..).

– استثمار المعطى الدلالي لحدث الجملة (فعلها) وتوزيعه في السياق السردي يستوعب الحدث والزمن المرتبط بالحدوث بصورة سردية دونما تصريح مباشر بالزمانية.

وتأسيسا على ما سبق فإن تحليل البنية الزمنية للخطاب السردي في سورة طه تم وفق بنية السورة المشكلة من ثلاث قصص، فرض علينا مقاربة الزمن السردي من خلال:

أ – التحليل الزمني الكلي للخطاب

وذلك ببيان البنية العامة لخطاب السورة و تحديد حقولها الزمنية العامة.

ب – التحليل الزمني لكل وحدة قصصية

وذلك بدراسة العلاقة بين زمن الوقائع السردية لكل قصة، وزمن خطابها (الترتيب والإيقاع والتواتر) .

[1] - سليمان عشراتي: الخطاب القرآني. ص96.

1 – التحليل الزمني الكلي للخطاب

أ – 1 – البنية العامة للخطاب السردي في سورة طه:

إن البنية العامة للخطاب السردي في سورة طه عبارة عن سياق سردي تتابعت وتقاطعت فيه منظومة سردية مشكلة من أخبار ثلاثة أنبياء، أعطى سورة طه شكلها النصي.

حيث استعرض الخطاب السردي قصة محورية هي قصة موسى عليه السلام والتي امتازت بسعة سردية كبيرة. وجاءت على شيء من التفصيل وأعقبها بقصة آدم عليه السلام على نحو موجز وتخلل هذا السياق في مطلعه ووسطه وختامه قصة الرسول ﷺ ؛ حيث "تبدأ هذه السورة وتختم خطابا للرسول ﷺ ببيان وظيفته وحدود تكليفه...ولا يشقى لأنهم يكذبون ويكفرون، وبين المطلع والختام تعرض قصة موسى عليه السلام من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر مفصلة مطولة وبخاصة موقف المناجاة بين الله عز وجل وكليمه موسى وموقف الجدل بين موسى وفرعون وموقف المباراة بين موسى والسحرة وتجلى في غضون القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينه، واصطنعه لنفسه، وتعرض قصة آدم سريعة قصيرة تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته وهدايته له، وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار، وتحيط بالقصة مشاهد القيامة...وكأنما هي تكملة لما كان أول الأمر في الملا الأعلى من قصة آدم حيث يعود الطائعون إلى الجنة، ويذهب العصاة إلى النار تصديقا لما قيل لأبيهم آدم وهو يهبط إلى الأرض بعد ما كان"[1].

فإذا كانت فاعلية الخطاب تتحكم في زمنية القصة داخل بنيتها بتوحيد حركة السرد والإعراب عن المغزى بمرونة يقتضيها السياق، فإن هذه الفاعلية حين تنخرط في استعراض منظومة سردية من أخبار الأنبياء والمرسلين تعطي لسياق تلك المنظومة شكلا نصيا فيه هذه الهندسة التي يمكن استخلاصها من رصدنا للحجم السردي في منظومة القصص الواردة في سورة طه.

[1] - سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت، ط 1974، ج4، ص2326.

حيث توزعت مجموع آيات السورة البالغ: 135 آية كالآتي:

القصة	الحجم السردي	عنوان القصة
الأولى	33 آية	قصة الرسول ﷺ
الثانية	90 آية	قصة موسى عليه السلام
الثالثة	12 آية	قصة آدم عليه السلام

حيث أخذت كل قصة سعتها السردية الآتية:

- 33 آية لقصة الرسول ﷺ
- 90 آية لموسى عليه السلام
- 12 آية لآدم عليه السلام

مع الحقل الزمني الخاص بالآخرة في كل قصة.

وقد أخذ هذا التوزيع الشكل والترتيب الذي يبينه الجدول الآتي:

الفاعل	الفضاء السردي للقصة	الحجم / الآية
محمد ﷺ	9 - 1	9
موسى عليه السلام	99 - 9	90
محمد ﷺ	144 - 99	15
آدم عليه السلام	126 - 114	12
محمد عليه السلام	135- 126	9

فالبنية الزمنية العامة للخطاب السردي انطلقت من زمنية حاضرة هي زمنية الرسالة المحمدية مع قوله ﷻ: ﴿طه،ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ [طه الآية 02]، وفي قوله ﷻ :﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾[طه الآية 07]، ثم سجل السرد ارتدادا إلى الماضي مع تاريخية موسى عليه السلام في قوله ﷻ:﴿وهل أتاك حديث موسى﴾[طه الآية 09]، إلى قوله ﷻ:﴿كذلك نقص عليك من أنباء

ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ [طه الآية 99]، ليعود زمن السرد ثانية إلى حاضر الرسول ﷺ مع قوله ﷻ :﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ..﴾،[طه الآية 100] وكذلك قوله ﷻ :﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا...﴾ [طه الآية105]، وكذلك قوله ﷻ خطابا لرسول ﷺ: ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما ﴾[طه الآية 114] ثم يرتد السرد ثانية إلى زمنية أعرق من الأولى هي زمنية آدمعليه السلام في قوله ﷻ :﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزما﴾ [طه الآية 115]، تؤطر هاته الآية الأحداث في فضاء الجنة يعقبها بعد ذلك فضاء سردي أرضي في قوله ﷻ ﴿ فإما يأتينكم مني هدى...﴾ [طه الآية 123]، في الزمن الأرضي الدنيوي ومنفتحا على الزمن الأخروي ليعود السرد أخيرا إلى حاضر زمنية الرسول ﷺ مع قولهﷻ:﴿وكذلك نجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون...﴾ [طه الآية 128]،وكذلك قولهﷻ:﴿ فاصبر على ما يقولون...﴾ [طه الآية 130]،وقولهﷻ ﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾ [طه الآية 135] ليبقى السرد بعد ذلك سابقا ومنفتحا على زمن المستقبل بشكل وعد للرسول ﷺ ووعيد للمعرضين.

ويتفرع عن كل حقل زمني حيز غيبي جزائي، هو الزمن الأخروي لتتأكد بهذا القيمة الزمنية التي يصدر عنها الخطاب السردي وهو يباشر فاعلية السرد، حيث يماهي بواسطة أطوار الصيرورة ملابسات زمنية مع زمنية أخرى، وهي هنا زمنية محمدﷺ التي تقاطع في ظاهرها مع زمنية أسلافه من الرسل.

إن هذه الحيوية في حركة الزمن السردي المتموجة بين حاضر، وماض بقصد تذكيري بموضع العبرة من سِيَر الأنبياء للمتلقي الأول وهو الرسول ﷺ ومن تبعه، تبدو كحركة نَوَسَان واسعة، انطلاقا من موقع جوهري – مهيمن استراتيجيا – هو زمن الرسول ﷺ. منحت هذه الحركة الزمنية العامة للخطاب السردي في سورة طه بنيته الكلية، وفنيته السردية.

أما الدلالة الزمنية، فلها علاقة بحالة الأسى التي سجلها الخطاب للرسول ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ [طه الآية02] ومنها إرتدت إلى أزمنة رسولية أخرى سابقة عليه (موسى- آدم) عليهما السلام مبرزة بهذا الاستحضار الزمني وحدة الهداية والعناية الإلهية. وتماثل الظروف وتطابق النتائج تثبيتا للرسول ﷺ على القيام بأعباء الرسالة.

الحقول الزمنية للخطاب السردي

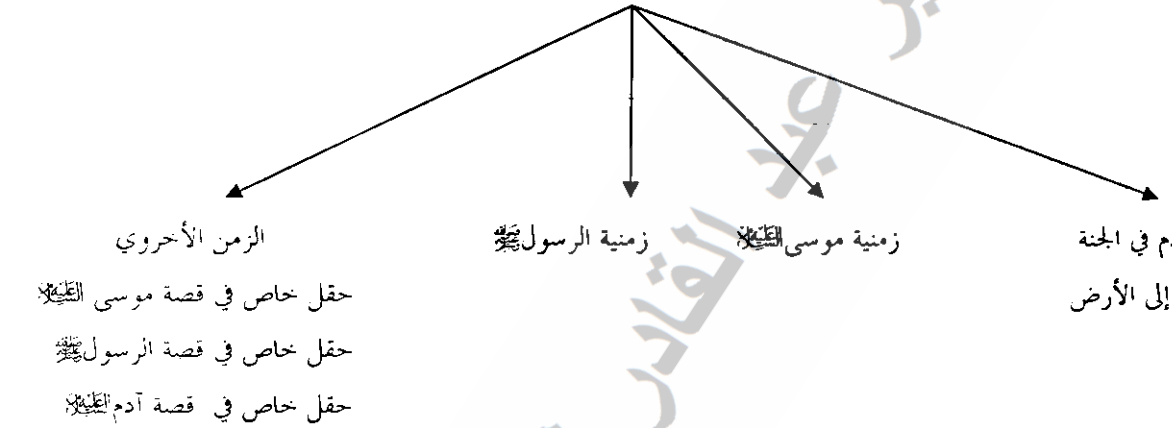

مما سبق نرى أن السورة قد توزعت إلى ثلاثة حقول زمنية:

1- الحقل الزمني الأول: زمن المتلقى الأول.

2- الحقل الزمني الثاني: الزمن الماضي.

3- الحقل الزمني الثالث: الزمن الأخروي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- التحليل الزمني الكلي لكل قصة :

أ- الحقل الزمني الماضي (قصة موسى، قصة آدم عليه السلام):

أ-1- قصة موسى عليه السلام (دراسة الترتيب و الإيقاع والتواتر):

تمهيد :

نلاحظ أن خطاب السورة يقدم ضربا من السرد اللاحق، كون قصة موسى وقعت في الماضي كأحداث تاريخية، حيث يبدأ السرد بعد انتهاء وقائع القصة إضافة إلى أزمنة الخطاب الدالة على ما سبق هناك " الدلالات اللفظية ما يكرس ماضوية هذه الزمنية من ذلك قوله تعالى: ﴿ وهل أتاك حديث موسى﴾ [طه الآية 09] ،والحديث هنا رديف لدلالة حكاية أو قصة أو خبر وجميعها دلالات سردية- حدثيتها منتهية ، أي أنها بفاعلية السرد تمارس فعلا تجديديا بحدثية مضت من هنا كانت دلالة لفظ الحديث في السابق تعني تجديدا إخباريا سرديا لوقائع معيشة في زمنية مضت، فالسرد هنا هو إثبات الحضور للمنتهي، وهو نفي للماضوية في الحدث. واعتمادها على أنها حالية تعمل في الآن وفي القابل"[1].

هذا من جهة تحديد حاضر القصة زمنيا على المستوى الخارجي ،أي نقطة النهاية للحدث وسعي الخطاب السردي إلى ترهين القصة، أما تحديد حاضر القصة زمنيا على المستوى الداخلي فيكون من خلال راهنية إنجاز الحدث الأول (رؤية النار ،والذهاب إليها...).وبه يتحدد ما هو قبل، وما هو بعد ،في علاقته بهذا الحكي الأول،كما يقول جينيت." إن تحديد الحاضر هنا يتم على مستوى التمفصلات الزمنية الكبرى للخطاب أي على مستوى ما يأخذه الزمن من علاقات بين القصة والخطاب على مستوى عام، لكن هذا المستوى العام يشترط تحليلا خاصا لكل المقاطع السردية التي يستوعبها الخطاب، ومن خلال ربط ما هو عام بما هو خاص يمكن استنتاج البنية الزمنية في الخطاب"[2].

إن تحليل الخطاب السردي باعتباره "هيكلا لغويا على الأقل من حيث كونه شكلا فنيا ذا أبعاد دلالية تختزنها التراكيب وتحملها الأنساق...وحتى نتمكن من تفكيك بنية الخطاب القصصي يجدر بنا أن نتتبع مرحلتين متلازمتين هما:

---

[1] - سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، ص116.

[2] - [illegible] ص[illegible].

أولا: بنية النص من الخارج ،أو البنية السطحية للخطاب قصد تحليل مفاصل النص والقبض على تمفصلاته الأساسية من خلال شكله البنائي العام لأن كل مقطع سردي يحتوي بالضرورة على خطاب مضموني.

ثانيا: بنية النص من الداخل أو البنية العميقة للخطاب لتحديد الأزمنة الداخلية"[1] وقد سبق أن أشرت إلى أن الزمنية في خطاب السورة تعتمد الزمنية الوظائفية المرتبطة بتغير المحتويات الدلالية (الوضع البدئي – عكس – الوضع النهائي). واعتمادا على تحليل الدكتور محمد رجب النجار الذي " استفاد من منهج بروب وغريماس و غيرهما في التحليل الوظائفي للعمل القصصي وفي شرح البنية التركيبية والدلالية وفق تحليل النص السردي والوحدات السردية وهو اجتهاد جريء ولا سيما تطبيقه لمفهوم المكافاة الأنبيائية تعديلا وتطويعا لاقتراح غريماس عن أنواع الاختبارات وهي:

1 – الاختبار الترشيحي: ويكتسب خلاله البطل الأنبيائي الكفاءة وطاقة الإنجاز (مرحلة تجلي الوحي له أول مرة، وتكليفه بالدعوة، وتزويده بالمعجزات).

2 – الاختبار الحاسم: المصلح للافتقار الديني (فترة تبليغ الدعوة علانية، أو الصراع والمواجهة ثم الانتصار على الكافرين والمشركين).

3 – الاختبار التمجيدي: الذي يتحقق فيه الالتحام الكامل بين الذات الخاصة والذات العامة، أو بين النبي وجماعته (وهو ما تحقق على يد النبي ﷺ بعد ثلاثة وعشرين عاما)" [2].

ننظر –بناء على ما ذكرنا –إلى القصة نظرة شمولية باعتبارها متتالية من الوظائف، تبدأ بالإساءة ،وتنتهي بإصلاحها،مرورا بالوظائف التي تتوسط بينهما فإنها ليست دائما بسيطة، بحيث تحتوي متتالية واحدة ،بل هناك أنماط متعددة تتوالى فيها المتتاليات ،وقد تتشابك "وتدل هذه الظاهرة على أن حكايات عديدة تشمل سلسلتين من الوظائف نستطيع أن نسميها مقاطع Séquences إذ تنتج عن كل إساءة ،أو حصول افتقار مقطوعة جديدة أي مسار وظائفي يفضي إلى تقويم الافتقار وهذا التحليل يبرر ما يمكن تسميته بالتكرار الوظائفي Duplication "[3].

---

[1] - باديس فوغالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر ، منشورات إتحاد كتاب الجزائريين،الجزائر ،ط1، 2002، ص:

[2] -عبد الله أبو هيف،النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد ،منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق ،ط2000،ص91.

[3] -

وعليه نقول: إن قصة موسى عبارة عن قصة تحتوي متتاليتين تأخذ إحداهما بعقب الأخرى، بحث تختلف فيهما الإساءتين أو الافتقارين، وكذلك المعتدين في المتتاليتين حيث يتم إصـــلاح الإســـاءة الأولى ثم بعد ذلك إصلاح الإساءة الثانية فتكون خطاطة القصة على الشكل الآتي:

1 ← (أ 1) ——————— (ك 1)

2 ← (أ 2) ——————— (ك 2)

المتتالية الأولى تمثل الإساءة فيها إستعباد فرعون لبني إسرائيل و إصلاحها بإنقاذهم.

المتتالية الثانية تمثل الإساءة فيها الانحراف إلى عبادة العجل وإصلاحها بتوبتهم .

حيث:

(1) = المتتالية الأولى (موسى مع فرعون وجنده وتحرير بني إسرائيل).

(2) = المتتالية الثانية (موسى مع السامري والمرتدين وهداية بني إسرائيل).

(أ 1) = الإساءة الأولى (الطغيان).

(ك 1) = الإصلاح الأول (تحرير بني إسرائيل).

(أ 2) = الإساءة الثانية (الدعوة إلى عبادة العجل).

(ك 2) = الإصلاح الثاني (حرق العجل وتوبة بني إسرائيل).

إن السياق الزمني في قصة موسى يبدأ بزمن الوحي والتكليم، ويرتد إلى زمن الميلاد والنشأة ثم يعود إلى زمن التكليف بالدعوة ،يتلوه الجدال والمواجهة ،ويختم بزمن إغراق فرعون وإنجاء بني إسرائيل و" لا يقف عند هذا الحد الجزائي بل إنها تمضي متابعة الإخبار عن سيرة بني إسرائيل بمـــا يميز تلك السيرة من تذبذب، وجحود .فكان هذا الامتداد القصصي الإضافي أي هذا الانفتاح في بنية السرد، إنما حدث لتستوعب القصة مآل تجربة النبوة، لأنها كانت تجربة فرزية إقصائية خارجية (مع فرعون وآله) وداخلية مع بني إسرائيل (قوم النبي)"[1].

بيد أن المتتالية الثانية لا تنتهي كسابقتها بنهاية جزائية فعلية وإنما كان جزاء السامري العزل (لا مساس) ونسف العجل في البحر كفرعون.

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 78.

ونعتمد بعد هذا في تحليل المتتاليتين على تصور "كلود بريمون" للمتتالية الحكائية من خلال تقسيمها إلى مراحل انسجاما مع تصورنا لزمنية الخطاب (الماقبل العكس والما بعد) وكذا مع التطوير الذي قدمه غريماس لأنواع الاختبارات (الترشيحي والحاسم والتمجيدي).

" فكل متتالية متحققة في الحكي لابد أن تمر بثلاث مراحل:

– وضعية تفتح إمكانية سلوك ما أو حدث ما.

– الانتقال إلى بداية الفعل بالنسبة إلى تلك الإمكانية (ويتحقق ذلك في شكل سلوك يستجيب للتحريض الذي تضمنه في الوضعية الأولى).

– نهاية الحدث الذي يغلق مسار المتتالية إما بالنجاح أو الفشل.

والواقع أن كل مرحلة لها احتمالان اثنان:

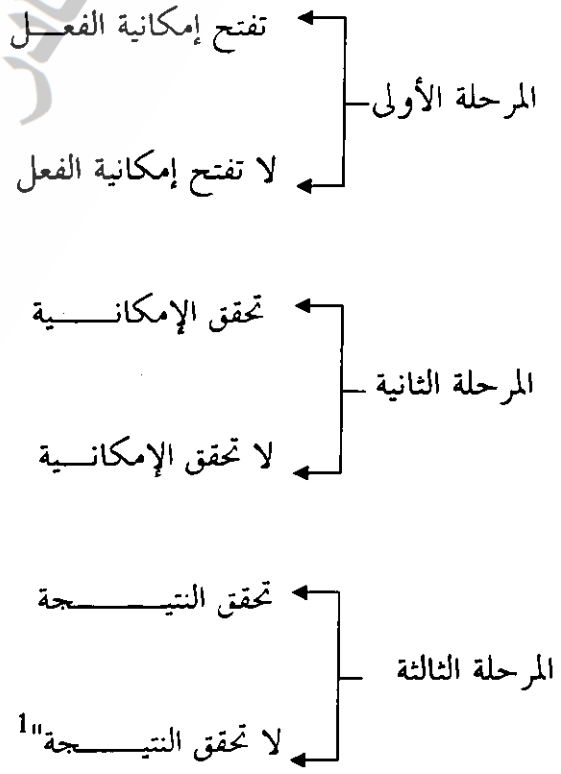

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدول يمثل المسار السردي بمراحله الثالث لمتتاليتي قصة موسى عليه السلام :

المتالية	المراحل	المقاطع	الخطاب	العنوان
الأولى	المرحلة الأولى	الأول	36-9	تكليم الله موسى وإرساله إلى فرعون كفا لطغيانه
		الثاني	41-37	تذكير الله عزوجل موسى بمننه عليه إلى وقت النداء
		الثالث	48-42	تكليف موسى وهارون بدعوة فرعون وإرسال بني إسرائيل
	الوضع البدئي			استعباد فرعون لبني إسرائيل
	المرحلة الثانية	الرابع	55-49	مجادلة فرعون لموسى وهارون
		الخامس	76-56	صراع موسى وهارون مع سحرة فرعون وانتصارهما
	المرحلة الثالثة	السادس	79-76	خروج موسى مع بني إسرائيل ومطاردة فرعون وإغراقه
	الوضع النهائي	السابع	80	إنجاء الله بني إسرائيل وتحريرهم
الثانية	الوضع البدئي	الأول	82-81	تذكير بني إسرائيل بالإنجاء والمواعدة والرزق
	المرحلة الأولى	الثاني	85-83	إخبار الله موسى بفتنته بني إسرائيل بعده
	المرحلة الثانية	الثالث	96-86	خطاب موسى لبني إسرائيل ثم هارون ثم السامري
	المرحلة الثالثة	الرابع	97	معاتبة السامري ونسف العجل في البحر
	الوضع النهائي	الخامس	98	هداية بني إسرائيل بعد الفتنة وبيان التوحيد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا – ترتيب الأحداث بين القصة والخطاب:

لدراسة علاقات الترتيب في الخطاب السردي، نقوم بعرض ترتيب أحداث القصة كما وردت في الخطاب ،ثم مقارنة هذا الترتيب بترتيب الأحداث كما تذكر كتب التاريخ منها: البداية والنهاية لابن كثير.

أ – الترتيب على مستوى الخطاب (سورة طه).

1- رؤية موسى النار.

2- نداء الله موسى (الوحي بالتوحيد والبعث).

3- منح معجزتي العصا واليد.

4- تكليف موسى بدعوة فرعون.

5- سؤال موسى الله-ﷻ- ما يعينه على الدعوة وإجابته تعالى.

6- التذكير بمنن إلهية سابقة لموسى.

7- الوحي إلى أم موسى بإلقائه في التابوت ثم إلقائه في اليم.

8- التقاط آل فرعون له وإنقاذه من قتلهم.

9- تتبع أخته له وإرجاعه إلى أمه.

10- إضمار.

11- قتل القبطي.

12- الإنجاء من الفم والعقوبة.

13- إضمار.

14- البقاء في مدين سنتين.

15- الرجوع إلى المدينة.

16- تكليف موسى وهارون بدعوة فرعون.

17- إيجاز حذف تقديره(فذهب موسى ولقي أخاه هارون وأبلغه أمر الله بما أمره)[1]

18- مناجاة موسى وهارون أثناء ذهابهما إلى فرعون لدعوته وإنقاذ بني إسرائيل.

19- إيجاز حذف تقديره (فأتياه فقالا له ما أُمرا به فقال: فمن ربكما[2].

---

[1] - الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ج17. ص:224.

[2] - نفس المرجع نفس الصفحة.

20- دعوة موسى وهارون فرعون ومحاورته.

21- إضمار (إراءته آية العصا واليد).

22- إعراض فرعون واتهامه موسى وهارون بالسحر وإرادة إخراجه من الأرض.

23- الاتفاق على موعد المواجهة (الانصراف-الاستعداد-الحضور للموعد).

24- موعظة موسى للسحرة ثم المغالبة فالانتصار.

25- إيمان السحرة وتهديد فرعون لهم بالصلب.

26- إضمار (من نهاية الموعد، فظهور آيات أخرى إلى غاية الوحي بالخروج).

27- تعقب فرعون وجنده لبني إسرائيل وغرقهم في البحر.

28- مجاوزة بني إسرائيل البحر وخلاصهم من استعباد فرعون.

29- إضمار ثلاثة أشهر بعد مجاوزتهم البحر.

30- مواعدة الله عزوجل بني إسرائيل بوحي الشرائع.

31- عتاب الله موسى على مفارقة قومه قبل أن يحيطوا بجبل الطور.

32- حدوث فتنة السامري بسبب غياب موسى وإعلامه بذلك.

33- رجوع موسى إلى قومه غضبان أسفا، ومخاطبة قومه جميعا.

34- جواب كبراء قومه عن سبب الفتنة وكيفيتها.

35- ذكر إنكار هارون على بني إسرائيل اتخاذهم العجل من قبل.

36- تخصيص موسى هارون بالتوبيخ على بقائه بين عبدة العجل.

37- تبرير هارون لموقفه واعتذاره.

38- خطاب موسى للسامري في شأن فتنة العجل.

39- اعتراف السامري وعقاب موسى له ونسف العجل في البحر.

40- تعليم موسى صفات الإله الحق لبني إسرائيل (الوحدانية والعلم).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب- الترتيب على مستوى القصة:

نورد ترتيب أحداث القصة كما وردت في كتاب "البداية والنهاية" لأبي الفداء الحافظ ابن كثير تحت عنوان (قصة موسى الكلية) حيث يقول :(...وسنورد سيرته هنا من ابتدائها إلى آخرها...)[1] بعد أن ذكر نسبه بدأ قصته:

1- علو فرعون في الأرض (تقتيل الأولاد واستحياء النساء).

2- إضمار.

3- الإرضاع.

4- الإيحاء إلى أمه.

5- إلقاء موسى في اليم.

6- التقاطه وإنقاذ امرأة فرعون له.

7- تحريم المراضع عليه.

8- تتبع أخت موسى له ودلالتها على مرضع لأخيها.

09- رده إلى أمه.

10- إضمار.

11- بلوغ الأشد والاستواء.

12- دخول المدينة.

13- قتل موسى للقبطي بغير عمد.

14- خروجه من المدينة تلقاء مدين.

15- ورود ماء مدين.

16- سقيه للفاتين.

17- تلبية موسى دعوة الشيخ والاستئجار.

18- إضمار.

19- قضاء الأجل والعودة إلى المدينة.

20- رؤية النار وذهابه إليها.

---

[1]- ابن كثير : البداية والنهاية. ج1. مكتبة المعارف. بيروت. ط6. 1985. ص:238.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

21- تكليم الله عزوجل موسى.

22- منح المعجزتين (العصا واليد).

23- تكليفه بدعوة فرعون.

24- مطالب موسى.

25- إجابة الله مسائل موسى.

26- تكليفه وهارون بدعوة فرعون.

27- مطالب موسى وهارون.

28- تكليفهما بدعوة فرعون إلى الكف عن الطغيان وإرسال بني إسرائيل.

29- محاورة موسى وهارون فرعون في شأن الألوهية وإظهار آية العصا واليد.

30- اتهام فرعون موسى وهارون بالسحر والدعوة إلى المغالبة.

31- مجيء السحرة والمبارزة، فإيمان السحرة.

32- خروج بني إسرائيل.

33- متابعة فرعون وجنده وإغراقه بعد إنجاء بني إسرائيل.

34- مواعدة بني إسرائيل بإنزال التوراة.

35- تقدم موسى واستعجاله.

36- الإخبار بفتنة بني إسرائيل.

37- رجوع موسى وإصلاح الأمر وتوبة بني إسرائيل.

نلاحظ على المستوى العام بين الترتيبين للأحداث أن نظام ترتيب الأحداث في الخطاب - السورة- خرج عن التوازي مع نظام الترتيب في القصة متضمنا سردا داخل السرد باستخدام تقنية المفارقة الزمنية وهي الاسترجاع. حيث انطلق السرد من وسط المتن الحكائي- سيرة موسى ﷺ بقوله تعالى:﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا...﴾[طه الآية 10] ثم يرتد السرد عبر اللاحقة الطويلة المدى لتتناول القسم الأول من حياة موسى (موسى الإنسان) بصورة موجزة ومكثفة ليقود ثانية إلى الحدث الأساس وهو تكليم الله موسى وتكليفه بالدعوة (أي موسى النبي) محققة التوازي بعد ذلك بين الزمنيين، حيث تنعدم المفارقات سواء في الجزء الأول مع دعوة فرعون ومحاورته ومجابهة سحرته. بالإغراق وإنجاء بني إسرائيل، أو الجزء الثاني من

حياة موسى النبوية مع بني إسرائيل وتلقي التوراة. حيث أنتجت هذه الزمنية السردية المحكمة معاني الهداية ،وجزاءها والإضلال وعواقبه.

اخترنا للتحليل الجزئي بنية اللاحقة من قوله ﷻ:﴿ ولقد منا عليك مـــرة أخـــرى...﴾ [طه الآية 37]،وقوله ﷻ:﴿ واصطفيتك لنفسي...﴾ [طه الآية 41]. التي تمثل بالفاعـــل (الـــنبي) إلى بدايات المنن الإلهية عليه مشكلة أحداث سيرته قبل البعثة. وهذه الحياة رمز وصورة مأســـاة بـــني إسرائيل وسياقهم التاريخي في مصر ،حيث يتجلى الإعجاز ،وروعة الإتقان في صور تطور حيـــاة موسى على المستوى الشخصي الخاص ،والقومي العام ،بصياغة جمالية شكلية للزمن، مبني علـــى شكل دائري تنتقل فيه الأحداث ونموها ،والشخصيات ،وعلاقاتهم بين الماضي ،والحاضر السردي واختيار أيام ،وسنوات محددة دالة في سيرة وتاريخ موسى عليه السلام ،كبؤرة مكثفة تعكس تاريخ بني إسرائيل تحت الاستعباد الفرعوني المتمثل في الذبح والإذلال .

هذه الأيام والحوادث تشكل بنية هذه اللاحقة ودلالتها وهي على التتابع الآتي:

1- الوحي إلى أم موسى بقذفه في اليم، ووصوله إلى يد فرعون.
2- تتبع أخته له ،ورده إلى أمه.
3- قتل القبطي والخروج إلى مدين والبقاء هناك سنين ،ثم العودة منه،ثم التكليم.

تتطور هذه الأحداث والأزمنة المكثفة لحياة موسى قبل البعثة مشكلة بنية هذه اللاحقة، التي تبدأ بقوله ﷻ:﴿ ولقد منا عليك مرة أخرى﴾[طه الآية37] والمعطوفة على قوله ﷻ:﴿ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾[طه الآية 36]،حيث يسير هذا المقطع السردي السابق للاحقة وفق السرد المتزامن؛ إذ يلتقي زمن السرد والقصة.

إن إجابة الله دعوة موسى بقوله:" قد أوتيت سؤلك" فتشكل سابقة واجبة التحقيق،والتي تمثل اللاحقة التالية لها البرهان على تحققها (أي: استمرار العناية به ابتداء من مراحل حياته قبل سؤاله وأثناء سؤاله ما يعينه على أداء الرسالة إلى مستقبل أحواله أثناء الدعوة)؛ (لأن جملة "قد أوتيت سؤلك يا موسى " تتضمن منّة عليه، فعطف عليها بمنة عليه أخرى في وقت الزيادة ليعلم أنه لما كان بمحل العناية من ربه في أول وجوده قبل سؤاله وعنايته به بعد سؤاله أولى. ولأن تلك

العناية الأولى تمهيدا لما أراد الله به من الاصطفاء والرسالة...وليعلم أنه سيكون مؤيدا في سائر أحواله المستقبلة)[1].

ثم يقول ﷻ ﴿ولقد منا عليك مرة أخرى﴾[طه الآية 37]،ينطلق السرد من حاضر المتلقي عليه السلام. والخطاب فيها موجه من المُرْسل (الله ﷻ) إلى المرسل إليه (موسى عليه السلام)،مؤكدا بلام القسم و(قد) لتحقيق الخبر،ومذكرا بالمنن الأخرى السابقة عن إجابة دعاء موسى، وبه انفتحت اللاحقة بترهين الحدث القصصي الماضي في الزمن الحاضر المزامن للمتلقي (موسى)، وهو زمن التكليم والتكليف ليعود به إلى الوراء، من ميلاده وإنجائه من ذبح فرعون وما تلاه من حوادث متراتبة على الشكل التالي:

الحادث الأول:

يتجلى في قوله ﷻ ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم....﴾ [طه الآية 38] ،يلتقي في هذا المقطع السردي زمنا الخطاب والقصة بترهين الحدث بالفعل (أوحينا)وتشكل الأوامر (اقذفيه في التابوت-اقذفيه في اليم- ولام الأمر في "فليلقه") ليناسب ما تقدم سوابق حاصلة كشرط لـ (يأخذْه) المجزوم في جواب الأمر على "الطريقة المتبعة في القرآن من جعل الشيء المطلوب بمنزلة الحاصل عقب الشرط"[2]. أي: إن تقذفيه في التابوت وتقذفيه في اليم يلقه اليم بالساحل الذي يرتاده آل فرعون. يأخذه الذي وصف بالعداوة لله ﷻ لأنه ادعى الألوهية ،والعداوة لموسى تقديرا في المستقبل ما يشير إلى المسار السردي للبرنامج المضاد.

الحادث الثاني:

قوله ﷻ ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن﴾[طه الآية 40]. يعود فيلتقي بعد السوابق السابقة زمن الخطاب والقصة من خلال الأفعال (لتصنع-تمشي-تقول) تدل على حاضر القصة في الزمن الماضي من إلقاء المحبة عليه لتحصل الرأفة والمحبة لأخذه وملتقطه فيدفع عنه القتل ويحرص على حياته ونمائه وبمجيء أخته، وقوله ﷻ ﴿كي يقر عينها ولا تحزن﴾ أي برجوعك إليها ينتفي حزنها بتحقق سلامتك من الغرق وتقر عينها بنجاتك من القتل والهلاك.

---

[1] - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ج16. ص:215.

[2] - نفس. ص:212.

الحادث الثالث:

يتجلى في قوله ﷻ ﴿وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي﴾[طه الآية 40-41].

ينتقل السرد بعد إضمار طويل (من الرضاع إلى بلوغ الأشد). فيذكر المنة الثالثة وهي الإنجاء من الغم بقتله القبطي بغير عمد، وخروجه من المدينة ولبثه سنين في أهل مدين، ثم رجوعه وحضوره بالواد المقدس عبر تسلسل مختزل ومنطقي لنمو الأحداث:

القتل ← الخوف ← البقاء في مدين ← الحضور بالواد المقدس والتكليم

عبر عناية إلهية بتدرج أحواله وتقديرها تقديرا مناسبا لغاية الاصطفاء الرسالي ولذلك ختمت هذه اللاحقة بما يشبه الفذلكة (واصطفيتك لنفسي).

ثانيا- إيقاع السرد:

كما سبق في القسم النظري من قبل، ذكرنا أن (جينيت) حدد أربع علاقات أساسية لمعدل السرعة، وأسماها الحركات الأربع للسرد من خلالها يمكن ملاحظة إيقاع السرد ووتيرته في معالجة الأحداث وتطورها من خلال مظهرين أساسيين هما تسريع الحدث، ويشمل المجمل والحذف. والمظهر الثاني، ويشمل تقنيتي المشهد والوقفة. ذلك أن " القص في القرآن لا يحدد خطاطات جامدة لفن القصة ولكنه يؤصل تخريجات سردية تتبلور فيها القصة الواحدة في صورة تجعل من القص القرآني فنا مفتوحا على التنويع...بين القصة الموقف حيث الحوار يبني الحدث ويجلي الوقائع ويبين القصة الممشهدة حيث يقوم السرد بالرصد والعرض من خلال المنظر والملابسة، وبين الإجمال والتفصيل القصيين تحقيقا للمغزى القرآني وترسيخا للرسالة في ذهن المتلقي بكيفية تأثيرية تحرك الخيال والعقل معا"[1].

1- تسريع السرد:

1- 1- المجمل والتلخيص:

إن هذه التقنية الزمنية التي تحقق تسارعا في السرد يقصد بها سرد أيام أو شهور أو سنوات من حياة الشخصية بدون تفصيل في بضعة أسطر أو صفحات قليلة- وهنا في بحثنا هذا نقدره بعدد الآيات رغم التباين في طولها وتركيبها- بصورة عابرة وعرض مجمل مختزل، ونعمد في دراستنا

(1) [illegible]

للجمل إلى تحديده وبيان نوعه، وكذا توزيعه في بنية الخطاب السردي في قصة موسى عدة خلاصات، نشير إلى ثلاث من أبرزها:

رقم المجمل	الخلاصة (المجمل)	الآيات	نوعه
المجمل الأول	﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى...واصطنعتك لنفسي﴾	3 آيات	محدد بقرينة
المجمل الثاني	﴿ ولقد أريناه آياتنا فكذّب وأبى﴾	آية واحدة	غير محدد
المجمل الثالث	﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ﴾	آية واحدة	محدد

- المجمل الأول:

بعد أن أخذت زمنية التكليم الصدارة في مسار قصة موسى انطلقت منها إلى ماضي حياته في شكل اللاحقة، حيث قدم لها الخطاب بصيغة العموم قوله ﷻ ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ [طه الآيـــة 37] ، مستهلا القصة الداخلية متصاعدة حيث تنتهي إلى الحدث الطارىء الذي حـــرك السرد، وهي رؤية النار وما تلاها من أحداث، معتمدا على التلخيص حيث" تختزل فنية .

السرد مراحل زمنية تستغرق أطوارا من عمر موسى منذ الوضع وحتى البعثة في ثلاث آيات مسجلة أهم تمفصلات تلك الأطوار. وكذلك كان حدث البعثة المقدر لموسى يتضـــمن زمنيـــة الاصطفاء التي هي عادة تقترن بالنضج والاكتمال"[1]. حيث يستوعب هذا المجمل عمر موسى من الوضع حتى زمن النضج والاكتمال.

- المجمل الثاني:

ويتمثل في قوله ﷻ ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى﴾[طه الآية 56]. يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية أنها سيقت " لبيان شدة فرعون في كفره وتصلبه في عناده وأن لموسى آيات كثيرة أظهرها الله لفرعون فلم تجدي في إيمانه وأُجملت وعممت ولم تفصّل"[2]. وهي المذكورة في تسع آيات إلى فرعون وقومه: انقلاب العصا حية، وتبدل لون اليد بيضاء، وسنين القحط والجراد والقُمّل والضفادع والدم والطوفان وانفلاق البحر بعد خروج بني إسرائيل، ذلك أن خروجهم وقع بعد ظهور آيات كثيرة أولها معجزة العصا مع السحرة قصد إرغام فرعون على إرسال بني إسرائيل ذلك أنه كلما هم باطلاقهم نكل، إلى أن أذن لهم أخيرا فخرجوا ثم ندم على

[1] ينظر: تحليل الخطاب القصصي [16].
[2] التحرير والتنوير [16/ 210].

ذلك فأتبعهم حتى لما رأى انفلاق البحر اقتحمه طمعا في الظفر بهم، فوقع غريقا مع جنده، والتي كانت آخر الآيات.

لذا كان توزيع هذا المجمل في بنية أنساق السرد تمهيدا لمشهد المبارزة الذي أظهر أول آية من الآيات السابقة.

– المجمل الثالث:

ويتجلى قوله ﷻ :﴿ قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأظلهم السامري﴾[طه الآية 85]. هذه السابقة تلخص قصة فتنة السامري لبني إسرائيل والمسببة لضلالهم، والتي فصلت بعد ذلك. وما وقع من موسى معهم عند رجوعه.

وعلى العموم، نقول: إن الخطاب اعتمد المجمل في بدايته، حيث لخص السارد من خلاله ما فيها للفاعل ذاكرا أهم الأحداث في سياق العناية الإلهية به، ومهّدت بذلك للحدث الأساس، ما يؤذن بدخول فضاء دلالي جديد تطرأ معه علاقات جديدة، وهو ما يبرر فنيا انتهاءه سريعا، فاسحا المجال للمشهد(الحواري الأول) الذي ظهر فيه الفاعل ،ومنه بدأ العرض الذي يؤسس المسار السردي للفعل النبوي الموسوي.

يعد هذا التوزيع الأهم الذي استخدم فيه الخطاب السردي المجمل أو التلخيص في اللاحقة بتقنية سردية بلغت حد الإعجاز، ثم تواتر حضور المجمل بعد ذلك بالتناوب مع المشاهد والمواقف الحاسمة مستهدفا بذلك تهيئة الوضع البدئي للقصة وما تلاها من التحولات الحاسمة في مسار السرد كآلاتي:

[الجزء الأول من المشهد الحاسم الأول+**المجمل الأول**+الجزء الثاني من المشهد الأول] مشهد التكليم والتكليف.

[**المجمل الثاني**+المشهد الحاسم الثاني] مشهد المبارزة.

[**المجمل الثالث**+المشهد الحاسم الثالث] مشهد رجوع موسى لبني إسرائيل.

1-2- الحذف والإضمار:

الحذف تقنية زمنية تقتضي تجاوز فترة زمنية معينة من زمن القصة، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث. وقد حددت نوعين من الحذف: الحذف الضمني، والحذف الافتراضي.

*** الإضمار الأول:**

قوله ﷻ ﴿ فلبثت سنين في أهل مدين﴾[طه الآية 40]. فقد اسقط السرد فترة من الزمن لم يصرح فيها السارد بالمدة المتجاوزة على نحو محدد ﴿فلبثت سنين﴾ وأضمر فيها من الأحداث التي ذكرها في سور أخرى بسرد ما وقع له مع شعيب ،وزواجه من ابنته ،وهذا الإضمار إضمار ضمني.

*** الإضمار الثاني:**

ما بين قوله ﷻ:﴿ كي تقر عينها ولا تحزن﴾[طه الآية 40]و﴿ وقتلت نفسا﴾. حيث لم يصرح بالحذف، وإنما أدركنا وقوعه من خلال الثغرة الواقعة في التسلسل الزمني للسرد. ففي هذا السياق الزمني إضمار ما بين رده إلى أمه لإرضاعه ما يوحي بزمن الحضانة (رضيعا حتى بلوغه الأشد والاستواء ما يوحي به قوله ﷻ:﴿وقتلت نفسا﴾ على زمن الشباب والعنفوان وهذا الإضمار افتراضي.

*** الإضمار الثالث:**

ما بين قوله ﷻ :﴿ وذلك جزاء من تزكى﴾ [طه الآية 76]و ﴿ولقد أوحينا...﴾ فبين أحداث المواجهة مع سحرة فرعون إلى وقائع الخروج فترة زمنية مضمرة.

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله ﷻ :﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن اسر...﴾ " وتغير الأسلوب في ابتداء هذه الجملة مؤذن بأن قصص طويت بين القصتين فتوهم أن الأمر بالخروج وقع مواليا لانتهاء محضر السحرة، مع أنه بين ذلك قصص كثيرة ذكرت في سورة الأعراف وغيرها"[1]. وهذا الحذف من الحذف الافتراضي.

ونلاحظ عموما أن الحذف قليل في خطاب السورة، وأكثره من الحذف الافتراضي، إضافة إلى الحذف البلاغي على مستوى الخطاب المسمى بلاغيا(إيجاز الحذف) في عدة مواقع.

---

[1] - الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج16. ص:269.

2- إبطاء أو تعطيل السرد:

2-1- المشهد:

ويقصد به المقطع الحواري الذي يتخلل تضاعيف السرد حيث يعطل حركة الزمن ويعلقه إلى حين انتهائه. وهو على طرف النقيض مع المجمل. وقد اعتمد الخطاب السردي للسورة على المشهد بصورة بارزة، وذلك بالتناوب مع المجمل؛ فبينما يُعتمد على المجمل- كما قدمنا- في تهيئة الوضع البدئي للقصة وتقديم الخطوط العريضة لها، يعتمد على المشهد في إبراز المواقف الحاسمة في نمو الحدث ،وتطوره ،كموقف التكليم والتكليف ،وموقف المواجهة مع السحرة ،وموقف موسى مع انحراف بني إسرائيل في عبادتهم العجل.

وقد شغلت المشاهد في الخطاب أكبر حيز فيها، حيث امتد على طول المراحل التفصيلية حيث" نجد كثيرا من القصص القرآني كان الحوار فيه عنصرا مهما إن لم يكن العنصر البارز وهو موجود على كل حال في كل قصة تعددت شخصياتها وذلك من مثل قصة يوسف ،وقصة موسى في طه"[1] التي تمثل بحق القصة الموقف، حيث الحوار يفصل الحدث بكل دقائقه، ويؤطر بنية الخطاب لذا " يمكن تمثيل قصص القرآن الموقفية على هذا النسق الحواري إذ أن فواعل هذه القصص تأخذ هذا الإطار النمطي (الله-النبي-القوم) وهناك المعجزة التي كانت ثابتة في كل دعوة وإن اختلفت نوعيتها فالعلاقة الحوارية في القصة القرآنية تؤطر القصة وتشيع فيها حيوية سردية تجعل من الموضوع القصصي بنية واضحة المعالم حيال ذهن المتلقي يتملاها من سائر جوانبها، من خلال وظيفة الحوار الكشفية"[2].

والجدول الآتي يوضح عدد وتوزيع ،وتسلسل موضوعات المشاهد:

---

[1] - محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم مكتبة الأنجلو المصرية ، 1965 ،ص: 301

[2] - سليمان عشراتي:الخطاب القرآني،ص:185.

ترتيب المشهد	المتحاورون	موضوعات وأحداث الحوار
المشهد الأول	موسى-أهل موسى	حكاية خبر رؤية النار...
المشهد الثاني	الله-موسى موسى-الله	-النداء-تعريف المنادى (الألوهية) -منح الآيات المعجزة - التكليف -الدعاء (شرح الصدر-تيسير الأمر) -الإجابة وتكليفه مع هارون وتذكير بمنن سابقة.
المشهد الثالث	موسى وهارون-الله الله-موسى وهارون	-إفضاؤهما بالشعور بالخوف من إفراط فرعون وطغيانه -تثبيت الله لهما بالمعية والعناية. -تلقين ما يقولانه لفرعون.
المشهد الرابع	-موسى هارون- فرعون موسى -فرعون -فرعون-موسى	-التعريف بالألوهية وإراءة موسى فرعون الآيات. -اتهام فرعون موسى بإراءة إخراجه من أرضه بالسحر مع الاتفاق على موعد المجابهة.
المشهد الخامس	-موسى -السحرة -السحرة-السحرة -السحرة-موسى -الله-موسى -السحرة-فرعون	-موعظة موسى السحرة وتخويفهم من عذاب الله -التناجي والتشاور فيما بينهم والصدور عن موقف وقول واحد. -التخيير في أولية الإلقاء -التثبيت والإرشاد إلى النصر في الموقف -التهديد والتنكيل بالسحرة وثباتهم
المشهد السادس	الله-بني إسرائيل	التذكير بالإنجاء والوصية والمواعدة
المشهد السابع	الله-موسى موسى -الله	-العتاب على التعجل ومفارقة قومه -التعليل وإخباره بفتنة بني إسرائيل.
المشهد الثامن	-موسى-بني إسرائيل -بني إسرائيل -موسى -موسى -هارون -موسى-السامري -موسى-بني إسرائيل	-الزجر واللوم على الضلال والانحراف -لوم هارون على عدم اللحاق به -مساءلة السامري وعقابه ونسف عجله -بيان التوحيد لبني إسرائيل وإصلاحهم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتناوب المشهد والمحمل في بداية الخطاب ليستثمر حضور موسى بعد أن رأى النار بالواد المقدس،فينشأ الحوار الذي يجسد تلقائية الموقف بأمره تعالى موسى خلع النعلين لقداسة المكان الذي كلمه الله فيه، فيتعرف إليه، ويأمره بالعبادة والتوحيد، ويريه الآيات، ثم يرسله مع أخيه إلى فرعون ليكفه عن طغيانه،بعد سؤال موسى ما يعينه على القيام بهذا الأمر في إطار يكشف عن الجوانب النفسية لشخصية موسى وهارون، وما نشب داخل نفسيهما من تنازع بين نازع أساسي من تكوين النفس البشرية، وهو الحفاظ على الذات من كل ما يهددها، ونازع وضعي يتمثل في العزم الصارم على القيام بما أمرا به وكلفا من أداء الرسالة.

وأثناء تنفيذهما للأمر ولقاء فرعون ينعقد المشهد الموالي مطورا الحدث، وممهدا للمشهد الحاسم، ويتنامى الصراع من المرحلة النفسية إلى المرحلة الفكرية، أثناء مجادلة فرعون وإقامة الحجة عليه بالرفق واللين، من خلال مجموعة الردود المتناوبة التي تشرح وتوضح المضمون الفكري لرسالة موسى في التوحيد وكف الطغيان وتحرير الإنسان.

إن هذا المشهد ارتقى بالصراع إلى المرحلة المادية بوصول الخطاب إلى المشهد الحاسم وهو موقف المبارزة وفضاؤها المتوتر،حيث تعددت الشخصيات، وتعقدت العلاقات، وتشابكت الأهداف، ما دفع بالحدث إلى ذروة التأزم، حيث يقف موسى وهارون وحيدين إلا مع التأييد الإلهي أمام ما أعد فرعون من كيد وسحر وقوة لحسم الموقف مع موسى، ولكن المشهد انتهى بالنصر لحامل الرسالة مع الآيات الأخرى الهادفة إلى تحرير بني إسرائيل وما حدث بعد ذلك لهم.

كل هذه المشاهد الحوارية المتتابعة، شكلت بنية الحدث المتنامي المتضمن صراعا متدرجا ينمو نحو تحقيق المقدمات الأولى التي أسست لهذا المسار السردي بهذه التقنية المحكمة؛ حيث ختم الخطاب بالمشهد الحواري الذي يتبين فيه معنى معالم التوحيد كما أوحى الله إليه أول مرة، والتناغم المتبادل بين خطاب الماضي ﴿ وسع كل شيء علما﴾[طه الآية 98]. في قصة موسى، وخطاب الحاضر للرسول ﷺ في قوله ﷻ:﴿يعلم السر وأخفى﴾[طه الآية 07].

2-2-الوقفة أو الاستراحة:

تمثل الوقفة أقصى بطء يصيب السرد؛ إذ تعطل حركته وتُعلق الأحداث إلى حين انتهائها، وتقوم بتشخيص الأشياء والكائنات.

وقد لاحظنا وجود نوعين من الوقفات في خطاب السورة هما:

الوقفة الوصفية ،والوقفة المتشكلة من الخطابات غير السردية، والتي بالتأكيد لها اتصال بالسرد ،ولو على المستوى الدلالي .تتمثل هذه الخطابات في الخطاب العقائدي والخطاب الوعظي.

2-2-1- الوقفة الوصفية: كما جاء في قوله ﷻ :﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾[طه الآية 18] حيث أجاب ببيان ماهية المسؤول عنه بقولهﷻ :﴿هي عصاي﴾ ، ثم عقب جوابه ببيان الغرض من اتخاذها لعله أن يكون قصد السائل ففصل بقوله ﷻ :﴿أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾، ثم أجمل ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾، وهذا الوصف له علاقة بالحدث الذي بعده، وهي لقصد تثبيت موسى، وتأكيد أنه ممسك بعصا، حتى إذا حصلت المفاجأة وانقلبت حية بعد أمره بإلقائها. لم يشك في أن تلك الحية هي التي كانت عصاه، وأن ما يراه آية من ربه، وهذه الوقفة لم تكن مجانية تشكل غاية في ذاته، بل مرتبطة بتطور الحدث.

2-2-2- الوقفة المتشكلة من الخطابات غير السردية: مثل الخطاب العقائدي المباشر في قوله ﷻ :﴿الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[طه الآيات 53-54-55].

يقول في تفسير الآيات الثلاث الشيخ الطاهر بن عاشور:"هذه جمل ثلاث معترضة في أثناء قصة موسى فالجملة الأولى مستأنفة ابتدائية على عادة القرآن من تفنن الأغراض لتجديد نشاط الأذهان ولا يحتمل أن تكون من كلام موسى إذ لا يناسب ذلك تفريغ قوله ﷻ:﴿فأخرجنا به أزواجا﴾حيث علق هذا الخطاب الحوار وأحداثه.إلى حين قول ﷻ :﴿ولقد أريناه..﴾لإعادة سوق ما جرى بين موسى وهارون من الحوار الذي صار به الخطاب"[1]."تعقيبا قد أوصل خطاب موسى بخطاب الله

[1] - الطاهر بن عاشور . ج17. ص:235.

إيصالا عضويا من خلال شد الخطاب باسم الصلة (الذي)، حيث أخذ الموصول موقفا ابتدائيا وتوصيفيا لما قبله"[1].

بعد عرض أنساق الإيقاع السردي الأربعة، نخلص إلى أن السرد القرآني استوعب الأبعاد الزمنية للحدث فنيا في زمن سردي وجيز تراوحت سرعته بين المجمل المختزل لمراحل زمنية تستغرق أطوارا من عمر موسى،تبدأ بالميلاد حتى التكليم في ثلاث آيات مختارا أهم تلك الأحداث.الأمر الذي منح السرد سرعته القصوى، إلى جانب الإضمار ،والحذف، وقد ترتب عنه عدم التناسب بين زمن السرد، وزمن القصة، حيث الخطاب السردي .حيث يعبر الخطاب السردي بالمدى السردي المختصر عن فضاءات زمنية متفاوتة.

وإلى جانب تسريع السرد هناك إبطاء في تشخيص الزمن المرجعي للقصة بواسطة تقنية الحوار المعبرة عن حلقات زمنية مساوية تقريبا تمثلت في "مشهد التكليم،مواجهة السحرة ومشهد الحوار مع بني إسرائيل أثناء رجوع موسى إليهم"، حيث يتوازى إلى حد ما زمن الخطاب السردي والقصة.

وعلى العموم فإن تقنية السرد الزمني في الخطاب السردي ذات طابع إجمالي تؤطر الحدث من خلال زمن ضمني ،وإيحائي بالغاية الاعتيادية للوقائع التاريخية التي يحيل إليها الخطاب السردي هادفا بذلك مقاصد تنفيسية ،أو تعليمية من خلال الأثر الفني الذي يتركز لدى المتلقي.

ثالثا -التواتر:

ذكرنا أن التواتر هو مجموع علاقات تكرار الحدث بين الخطاب والقصة، حيث شكل

1-السرد المفرد بنوعيه:

أ- سرد مرة واحدة ما حدث مرة واحدة: المظهر البارز في الخطاب من جهة التواتر مثل (حادث التكليم-المواجهة-مجاوزة البحر...).

ب- سرد عدة مرات ما حدث عدة مرات: والذي يلحقه (جينيت) بالصنف الأول، وهو حادث إلقاء العصا، وانقلابها حية في ثلاث مقامات ومواقف. إلقاء العصا وانقلابها حية حصل ثلاث مرات:

---

[1] - سليمان عشراتي: الخطاب القرآني. ص:189.

- الأولى في طريق عودته من مدين إلى مصر في قوله ﷻ :﴿ قال ألقها- فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾[طه الآية 19-20].

- الثانية كانت بحضرة فرعون وكانت سببا في جمع السحرة في قوله ﷻ :﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها...﴾ [طه الآية 56].

- الثالثة كانت بحضرة السحرة في قوله ﷻ :﴿ وألق ما في يمينك تلقّف ما صنعوا﴾[طه الآية 69].

وحادث انقلاب اليد بيضاء (مرتين):

- الأولى في طريق عودته من مدين إلى مصر مع معجزة العصا.

- الثانية بحضرة فرعون وملئه.

2- السرد المؤلف: وهو سرد مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة.

ويتمثل في قوله ﷻ :﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾[طه الآية 80]. كان غذاؤهم في زمن التيه "وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شدتهم وضرورتهم في سفرهم في الأرض التي ليس فيها زرع ولا ضرع منا من السماء، يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم فيأخذون قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى مثله من الغد...فيصنعون من مثل الخبز...فإذا كان من آخر النهار غشيهم طير السلوى فيقتنصون منه بلا كلفة ما يحتاجون إليه حسب كفايتهم لعشاهم"[1] ؛ أي أنه تكرر إنزال المن والسلوى عليهم مرات عديدة.

[1] - ابن كثير : البداية و النهاية. ج1. ص:282/281.

أ-2- قصة آدم (دراسة الترتيب والإيقاع والتواتر):

تسجل قصة آدم في السياق السردي لخطاب السورة ارتدادات زمنية بعد السرد المتزامن في قوله ﷻ: ﴿ وقل رب زدني علما ﴾[طه الآية 114] من السياق الزمني الحاضر ،إلى الوراء وإلى الأمام في انتقالها الزمني الحدي الموصولة بالغيب في المقام الطلق المجرد من البعد الزمني في الفضاء الميتافيزيقي المتمثل في الجنة في قوله ﷻ: ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾[طه الآية 117] حيث وردت حوادث الخلق بصيغة الماضي ،والإغواء ثم الإهباط، إلى الأرض مع السابقة في قوله ﷻ:﴿ قال:اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ﴾[طه الآية 123] رابطة حبل تلك الزمنية اللامحسوسة بالزمن الأرضي المؤسس بهبوط آدم وإبليس إلى الأرض المحدود والمستمر بأداة الشرط في قوله ﷻ:﴿ فإما يأتينكم من هدى ...﴾ [طه الاية 123] ،لكون المسار الزمني الأرضي يتضمن ظاهرة ثابتة موصولة بالتاريخ الإنساني عامة وهي بعثة الأنبياء مشروطة بالأزمنة والأمكنة المقدسة (زمنية آدم وموسى ومحمد عليهم السلام وغيرهم) ،وموقف الإنسانية منهم بين الأتباع والأعراض ، وما يترتب عن هذه المواقف من الجزاء في الزمن الأرضي الحسي وما يعقبه في الزمن السرمدي في فضاء الآخرة بين النعيم والجحيم الأبديين.

إن تقديم الخطاب السردي لهذه الزمنية الكلية المتطاولة بين زمن الخلق الأول في الجنة وما تلاه من الاهباط إلى الأرض ثم الانتقال إلى الفضاء الأخروي بزمن السرمدي هو الذي نحاول دراسته من خلال كشف العلاقات بين زمن الخطاب والقصة الوجودية الكلية للإنسان بكل أبعادها .

أولا الترتيب :

ترتيب الأحداث في الخطاب :

1- عهد الله إلى آدم أن لا يأكل من الشجرة .
2- ترك ما عهد إليه من الإحتراز وأكله من ثمرها .
3- إخبار (إخبار الملائكة بخلق آدم وتعليمه الأسماء) .
4- أمر الله الملائكة جميعا بالسجود لآدم .
5- امتثال الملائكة للأمر وإباء إبليس .
6- إعلام الله آدم بعداوة إبليس له ولزوجه.

7- نهي وتحذير آدم وحواء عن أن يتسبب إبليس في خروجها من الجنة

8- تعليل للشقاء المترتب على الخروج من الجنة

9- إضمار (مدة تقلب خلالها آدم وزوجته بخيرات الجنة حتى حسده إبليس

10- وسوسة الشيطان لآدم بالأكل من الشجرة المنهي عنها لنيل الخلد والملك

11- أكل آدم وحواء من الشجرة وظهور سوآتهما والعقاب بالإخراج من الجنة ثم التوبة عليه.

12- الأمر بالهبوط ووصاية الله آدم وذريته بإتباع الرسل وعدم الإعراض

ترتيب الأحداث في القصة:

نورد ترتيب الأحداث في القصة ما جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير حيث يقول:

" فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة ولنذكر ههنا مضمون ما دلت عليه هـــذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله ﷺ"[1] .

1-إخبار الله الملائكة بخلق آدم وتعليمه الأسماء .

2-خلق الله آدم بيده من طين ونفخه فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له .

3-طاعة الملائكة ورفض إبليس السجود ولعنه بسبب ذلك .

4-إسكان الله آدم الجنة ونهيه عن الشجرة وتحذيره من عداوة إبليس.

5-وسوسة إبليس لآدم حتى يأكل من الشجرة المنهي عنها.

6-أكل آدم وحواء من الشجرة وظهور سوآتها .

7-العتاب على مخالفة العهد والتذكير بعداوة إبليس.

8-أمر الله عز وجل آدم وحواء وإبليس وذريتهما بالهبوط إلى الأرض في حالة عداوة .

9-توبة آدم وحواء بعد أن تلقى كلمات من الله.

10-الاشتراط عليهم (أبناء آدم) السعادة لمن تبع هداه والشقاوة لمن خالفه.

نلاحظ أن نظام ترتيب الأحداث في الخطاب يوازي عموما ، نظام حدوثها في القصة ما حقق حالة توازي بين زمن السرد وزمن الخطاب حيث أخذ الترتيبان نسقا زمنيا متصاعدا.

---

[1] ابن كثير . البداية والنهاية من ص 70 ص 81 .

في كليهما أثناء المرحليتين ،مرحلة آدم في الجنة وما حدث فيها ضمن زمن غيبي وما ترتب عنها في المرحلة الثانية حيث آدم على الأرض وبداية الزمنية الحسية الأرضية.

وقد قلت لذلك المفارقات الزمنية حيث رصدنا سابقتين تتمثل السابقة الأولى في قوله ﷻ ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزما﴾ [طه الآية 115] ،الحادث الذي رقمه في القصة (5-6) ذكر في بداية الخطاب (المنع – وخرق المنع) ثم أ ضمر حادث خلق آدم وما تلاه إلى حادث السجود ليبرر به عداوة إبليس لآدم ما ترتب عليه الإخراج من الجنة،فيحذر ذريته طاعة إبليس والأعراض عن هدايات السماء .

أما السابقة الثانية فيمثلها قوله ﷻ ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه الآية 122] حيث ذكر الاجتباء والتوبة قبل حادث الإهباط والخروج من الجنة. وقد كان ذلك بعد أن أهبط آدم وزوجه إلى الأرض.

ثانيا : إيقاع السرد

الملاحظة أن فنية الخطاب السردي قد سار وفق إيقاع سردي بالغ الإيجاز والسرعة حيث استوعب أصناف الزمن وأبعاده الكونية واللانهائية (الزمن الغيبي قبل الزمن الأرضي ، ثم الزمن الأرضي ثم الزمن الأخروي السرمدي) وفي أزمنة سردية مختزلة من خلال (احدي عشر آية).

في تسريع السرد لا حظنا المجمل في الافتتاح السردي بقوله ﷻ :﴿ ولقد عهدنا إلى آدم فنسي و لم نجد له عزما ﴾[طه الاية 115]، أي أمر الله أن لا يأكل من الشجرة فترك ما عهد إليه بفعل الوسوسة ، وأكل من الشجرة ، فكان هذا المجمل ممهدا لتطور الأحداث بعد أن أضمر حوادث عديدة منها خلق آدم من طين ،وتعليمه الأسماء وغيرها ، وأضمر حوادث الزمن الأرضي إلا من أزمنة الهدى مع بعثة الرسل عليهم السلام وموقف الإنسان منها وجزاء ذلك في الزمن الأرضي والأخروي الذي رهنه السرد التنبئي بواسطة الحوار.

ثالثا: التواتر

أما فيما يخص التواتر فالقصة ذات سمة إفرادية ، سرد مرة واحدة ، ما حدث مرة واحدة.

ب: الحقل الزمني الحاضر (زمن المتلقي الأول)

قصة الرسول ﷺ (دراسة الترتيب والإيقاع والتواتر)

ابتدأ الخطاب السردي للسورة بمخاطبة الرسول ﷺ بقوله ﷻ :﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ...﴾ [طه الآية 2-3] -بعد الحروف الفواتح (طه)- بالفعل(أنزلنا) في سياق النفي، والمسند إلى المرسل ﷻ لنفي كل شقاء يتعلق بإنزال القرآن على المخاطب (المتلقي الأول) محددا بذلك الغاية الابلاغية للقرآن ،وهي تذكير من يخشى من المخاطبين به.

لقد ضم الخطاب في المطلع الإفتتاحي كلاً من الفاعل السارد (الله ﷻ) ومكانته على مستوى بنية الخطاب إضافة إلى المخاطب المباشر وهو الرسول ﷺ بملاطفته بأن الله لم يرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك تمهيدا لما يرد من أمر الرسول بالإضطلاع بأمر التبليغ[1] بالإضافة إلى مخاطب غير مباشر،وهم المعاصرون للرسول ﷺ ومن بعدهم ممن تبلغه الرسالة ثم ينوه بالقرآن من خلال التنويه بمنزله متضمنا صفات من فعله ﷻ ومن عظمته.

يعقب هذا التمهيد بسرد لاحق لقصة موسى عليه السلام حيث يتحدد هذا الحقل الزمني بتوجيه الخطاب إلى الرسول ﷺ فينفتح السرد بترهين الحدث التاريخي المنقضي في الزمن الحاضر المتزامن للمتلقي الأول ﴿وهل أتاك حيث موسى﴾ لينطلق الخطاب السردي بعد هذا الإعلان مرتدًا إلى الزمن الماضي زمن موسى عليه السلام.

فقد شمل هذا الإفتتاح البنية السردية من سارد رسوله وخطاب سردي يتضمن شخصيات فواعل مؤطرة بأزمنتها وفضائلها، ويستمر الإلحاح السردي إلى نهايته بقوله ﷻ: ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ ليعود السرد ثانية إلى زمن المتلقي الأول.

تحدد الوظيفة الإبلاغية للسرد بالنسبة للرسول ﷺ التأسي بالنبي موسى عليه السلام في الصبر وتحمل أعباء الرسالة وأن عاقبته النصر والتأييد ، وتهديد المخالفين بأن جزاءهم جزاء من سبقهم من المكذبين، ليقترح بتوجيه الخطاب لهم ببيان جزاء أعراضهم من خلال سردٍ مجمل لمصارع الأقوام المكذبين الذين يمشون في مساكنهم ، وما يلحقهم من العقاب في الزمن الأخروي الدائم .

---

[1] الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ص 184

وبعد أن يُنهَى ﷺ عن التعجل في تلقي الوحي يُؤمرْ بالسابقة (قل) للاستزادة من العلم فترتد بذلك زمنية السرد إلى زمنية أعمق ذات دلالة عامة وكلية وهي زمنية الخلق الأول والاهباط إلى الأرض لاستئناف حياة مختلط خيرها بشرها ، ثم يرتد ثانية إلى حاضر زمن المتلقي الأول حيث يوجه الخطاب متوعدا المعارضين والذين لم يكن لهم في مصارع الذين من قبلهم دليل وهداية لينعطف الخطاب مرة ثانية إلى الرسول ﷺ من خلال السوابق المتمثلة في النواهي والأوامر ما يعينه على القيام بأعباء الرسالة ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾[طه الاية 130] وكذلك قوله ﷻ: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [طه الاية 131]،لينتقل الخطاب بعد ذلك إلى محاجّة الكافرين ومتاركتهم وظلالهم بعد الإرشاد والاستدلال وإعلانهم بأنهم سيعلمون مَنْ مِنَ الفرِيقين أصحاب الصراط المستقيم ومن هم المهتدون .

نلاحظ أن زمنية السرد في قصة الرسول ﷺ استهلت بتثبيته على الرسالة وإن العاقبة له وليس عليه حرج في أعراض المعرضين ،وذلك لعمى بصائرهم وليس لعدم كفاية الدليل أو التقصير في التبليغ ،إيحاء بزمنية موسى ذلك ؟ أن الله ﷻ "أجري سنته في كتابه أن يذكر قصة موسى عليه السلام في أكثر المواقع التي يذكر فيها حديث نبينا ﷺ فيعقبه بذكر موسى عليه السلام"[1] وتصريحا بخطابه ﷺ وخطاب معارضيه، وتلقينه ما يبلغه لهم و متاركتهم بعدما أعذر في البلاغ ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ [طه الآية 134] ،لتبقى زمنية الرسول ﷺ باعتباره خاتم الأنبياء والقرآن باعتباره خاتمة الهدايات السماوية منفتحة على المآل في المستقبل العاجل والآجل ﴿ فتربصوا ستعلمون من أصحاب الصراط المستوى ومن اهتدى ﴾ [طه الآية 135].

- إن هذا الحقل الزمني الحاضر يستوعب البنية الزمنية للحدث النبوي

[نبي - قوم (مهتدون ، معرضون)- جزاء معجل في الدنيا - جزاء مؤجل في الآخرة].

---

[1] عبد الكريم القشيري لطائف الإشارات – تحقيق الدكتور ابراهيم بسيوني ، الطبعة 2 ،1984 الهيئة المصرية العامة للكتاب،المجلد الثاني،ص: 448.

ج- الحقل الزمني الأخروي :

اعتمد الخطاب على السرد التنبئي للتعبير عن أحوال الآخرة وأزمنتها انطلاقا من المبدأ القرآني الذي ربط العمل والسعي في الزمن الأرضي بالجزاء المعجل في الدنيا ،والمؤجل مستقبلا إلى الزمن الأخروي الدائم . إن هذه الزمنية السرمدية التي يبلورها الخطاب السردي للسورة بآليته الخطابية الزمنية من خلال أزمنة فعل الجملة ،أو التركيب النحوي للجملة الشرطية وجزاؤها.

وقد توزع هذا الحقل الزمني في المراحل الأخيرة لصيرورة الأحداث في القصص الثلاث (قصة موسى عليه السلام، وقصة الرسول ﷺ ثم قصة آدم عليه السلام)-كمجال زمني شمولي وتركيبي للحركة الرسالية في الأرض وموقف الإنسان منها وما يترتب على اختيار من جزاء .

1-أول ما وردت هذه الزمنية في خطاب الله ﷻ موسى عليه السلام وإعلامه بقوله: ﷻ ﴿ إن ساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [طه الآية 15-16] ، إن خطاب الله لموسى يتضمن إعلامه بساعة الحساب (القيامة) بسرد سابق من خلال زمن اسم الفاعل ﴿آتية﴾ يربط به سعي المتلقي العام وعمله بمبدأ الجزاء والثواب، في الحقل الزمني الخالد ،و أعقبه بالتحذير في صيغة النهي عن أن يصده عنها من جحدها بسبب إتباع هواه دون دليل فتهلك. فكان الزمن الأرضي عموما زمن سعي وعمل والزمن الأخروي زمن حساب وجزاء .

2-ووردت هذه الزمنية كذلك في الكلام الذي أمر الله ﷻ موسى وهارون بتبليغه إلى فرعون:

قال ﷻ ﴿قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ [طه الآية 47-48] جاء في تفسير الطاهر بن عاشور لهذه الآية قوله (وإطلاق السلام والعذاب دون تقييد بالدنيا والآخرة تعميم للبشارة والنذارة .... على أسلوب حكاية المحاورات"[1] .

أي أن السلامة ثابتة لمن اتبع الهدى في الزمن الأرضي والأخروي وكذلك العذاب المعرّض به على التكذيب والإعراض.

---

[1] الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ، ص 231

3- كما وردت زمنية هذا الحقل في قوله ﷻ حكاية لكلام السحرة بعد إيمانهم وتهديد فرعون لهم :

قال ﷻ ﴿ إنه من يات ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾[طه الآيات 74-75-76] في الآية الأولى لام الاستحقاق ﴿له جهنم﴾ أي هو صائر إليها لا محالة ويجدد عذابه فيها، وهذا جزاءه ،أما من تزكى وتطهر من المعاصي فله جنات عدن في زمن سرمدي.

4- و قد ورد ذكر الآخرة كذلك في قصة الرسول ﷺ أثناء بيان جزاء المعرضين عن دعوته ،قوله ﷻ :﴿ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساءلهم يوم القيامة حملا ﴾[طه الآية 100-101] ،وفي جزاء المؤمنين قوله ﷻ :﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هظما﴾ [طه الآية 112]، بعد الانتقال من الحقل الزمني الماضي في قصة موسى عليه السلام إلى حاضر زمن المتلقي الرسول ﷺ الذي يبلغ هذا الخطاب السردي قصة موسى عليه السلام للمشركين وبيان جزاء إعراض الأمة عن هدى رسولها في الحقل الزمني الأخروي.

5-وأخيرا ووردت زمنية هذا الحقل في قوله ﷻ خطابا لآدم وذريته بعد الأمر بالهبوط إلى الأرض :

﴿فإما ما يأتينكم هدى فمن اتبع هدى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه الآية 123-126].

الخطاب لآدم باعتباره أصل النوع الإنساني وقد تضمنت هذه الآيات عموم الحقول الزمنية المنتهية ،والسرمدية ،فالهدى المراد به : جميع الرسل وجميع الكتب في الأزمنة الرسولية ومنها زمنية موسى عليه السلام ومحمد ﷺ وذلك (بأن الشرطية المدغمة في ما الزائدة مع زمن المضارع المؤكد) فالمتبع لا يضل في الدنيا ،ولا يشقى في الآخرة، والمعرض له المعيشة الضنكة ويحشر يوم القيامة أعمى، وعبر عن هذا الحقل الزمني بالجزاء الباقي.

II – دلالة الزمن :

تتشكل الدلالة الزمنية للخطاب من خلال التطور الخطي لأزمنة الصراع بين مسارين التحسين للفاعل (النبي) ومسار الانحطاط للفاعل – الضد (إبليس – فرعون – السامري-المشركون) عبر المراحل الثلاث للمتتالية السردية الخاصة بقصة كل نبي مع ملاحظة أن البنية الزمنية للسرد لا تمضي دائما في شكل أحادي الخط بل حصل تداخل لخصوص زمن الرسول ﷺ وزمن موسى عليه السلام في عموم الزمن البشري ممثلا بآدم عليه السلام هذه المراحل هي : .

أولا : مرحلة التحريك:

تنفتح هذه المرحلة ببعثة نبي ما وهو زمن الإثارة ، يقابله في الخطاب الآيات الآتية :

﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ [طه الآية 2-3]

﴿وأنا أخترتك فاستمع لما يوحى﴾[طه الآية 13]

﴿ فإما ياتينكم مني هدى... ﴾ [طه الآية 123]

ثانيا :مرحلة الانجاز:

تقود المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية وهي زمنية العمل والإنجاز ، حيث تتحقق الإمكانية مع المساندين للبرنامج الأساس (الهدى) ويخفق البرنامج الضد الرافض والمعرض عن الهداية ، تغطي هذه الزمنية مرحلة حياة النبي من زمن البعثة والتكليف إلى آخر حياته . هذه الأزمنة الرسولية المقدسة في الزمن الأرضي يترتب عليها المرحلة الاخيرة وهي مرحلة الجزاء .

ثالثا:مرحلة الجزاء :

حيث يذكر الخطاب الجزاء في الزمن الأرضي بانتصار النبي وجماعته وخذلان المعرضين وقادتهم وكذلك الجزاء في الزمن السرمدي في الآخرة نعيما وجحيما.

فدلالة زمن الخطاب مشكلة من رؤيتين ومسارين،تستغل كلا منهما في إظهار ثنائية ضدية تشحن الزمن السردي بمدلولات قيمية جذرية التناقض (الإتباع والإعراض) تضيء زمن المتلقي الأول الرسول ﷺ زمن التغيير والتطور.

و تجسد هذه الدلالة تقنية فنية تصور الوضع البدئي باعتباره زمن الظلال ،والظلم لتنطلق من خلاله بإرادة الهية بعثة رسولية ،تتخذ لنفسها شكلا متناميا ،سرعان ما تصطدم بحركة

مضادة تمنع نموها ،ويؤدي صراع الحركتين إلى إيجاد بنية فنية تجسد بنية أخرى هي بنية الواقع التاريخي لبني البشر مع هدايات السماء .

وهكذا تكتسب البنية الزمنية ودلالاتها ومعطياتها الفكرية والاجتماعية التي تجسد الحركتين المتناميتين ،تمثل الحركة النبوية عموما المركز الحقيقي لتطور التاريخ فكريا ،واجتماعيا، والاستجابة الأكثر عمقا وصحة للحاجات الروحية والطبيعية للمجتمعات على أساس علمي استدلالي رشيد.

يؤكد هذه الدلالة تفسير الرازي لقوله ﷻ: ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ فيه دلالة على أن المراد الذرية،ولقد اختلفوا في المراد بالهدى فقال بعضهم: الرسل و بعضهم الآخر قال: الأدلة،وبعضهم قال : القرآن ،والتحقيق أن الهدى:عبارة عن الدلالة فيدخل فيه كل ذلك. وفي قوله ﷻ :﴿فلا يضل ولا يشقى ﴾ دلالة على أن المراد بالهدى الذي ضمن الله على إتباعه ذلك إتباع الأدلة ، وإتباعها لا يتكامل إلا بأن يستدل بها وبأن يعمل بها"[1].

تتقابل أزمنة الإنجاز والتبليغ النبوي أزمنة الاهتداء والإتباع وأزمنة الجحود والإعراض فينشأ الصراع بينهما فكريا من خلال انفتاح الأنبياء على الآخر ومحاورته وإظهار الدليل والمعجزة :

- الآيات التسع مع موسى عليه السلام .
- ومعجزة القرآن مع الرسول ﷺ.

وينتهي الصراع ماديا حيث تكون العاقبة فيه للأنبياء وأتباعهم .

تجسدت هذه الدلالة الزمنية فنيا من خلال استهلال الخطاب بزمنية البعثة المحمدية،وفي قصة موسى عليه السلام حيث أخذت زمنية التكليم والتكليف،الصدارة في المسار السردي لقصته ، وكذا الخطاب الإلهي لآدم بعد الاهباط إلى الأرض .

---

[1] ينظر: [illegible]

الفصل الثالث: البنية المكانية في السورة

I – مفهوم المكان في النقد

II – البنية المكانية في خطاب السورة

1– البنية المكانية في قصة موسى عليه السلام فاعليتها ودلالتها .

2– البنية المكانية في قصة آدم عليه السلام فاعليتها ودلالتها .

3– البنية المكانية في قصة الرسول ﷺ فاعليتها ودلالتها .

III – دلالة المكان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

I- مفهوم المكان في النقد :

إن المقاربة النظرية والنقدية لمفهوم المكان كإطار جغرافي أو فضاء فيزيقي، باعتباره أحد المكونات لكلية الخطاب في إنتاج دلالته ،من البحث في الأسئلة التي تثير العمق الإشكالي لهذه المقولة الأساسية في النظرية السردية ،وفي السرد القرآني كخطاب مقدس على الخصوص ،ثم في القراءة النقدية التحليلية للمكان الذي يقدمه خطاب سورة طه.

فما مفهوم المكان والعلائق القائمة بين الأمكنة المنتجة لفضائه السردي؟

ماهي طريقة تحديدها ،وبأي المعايير ،وماهي فاعلية المكان وعلاقته التشكيلية بباقي مكونات الخطاب السردي .

ما دلالة المكان كوحدة تكوينية دالة في صيرورة المعنى الذي يخترق الخطاب ؟

ولعله من المناسب في تتبع هذه المفاهيم، أن نعرض بإيجاز مقاربة بعض النقاد العرب له.

* "يرى غالب هلسا في ضوء تحليله للرواية العربية أن المكان يتمظهر في اربعة مستويات ،يشكل كل مستوى خصوصية معينة، هذه المستويات تتجلى في المكان المجازي ،المكان الهندسي ،المكان المعيشي ، والمكان المعادي .

- المكان المجازي: ويقصد به المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية والتشويق ، وقد سماه غالب هلسا مجازيا، لأن وجوده غير مؤكد ،بل هو أقرب إلى الافتراض ،ولا يزيد عن كونه إطارا للوقائع السردية ،ودال على المستوى الاجتماعي للشخصية ونمط حياتها ،أو مكتمل للأحداث ،أو وصفا لحالة تمر بها إحدى الشخصيات مثل الخوف والغنى ،و لهذا تدرك مثل هذه الأمكنة ذهنيا .

-المكان الهندسي:وهو المكان الذي يعرضه الخطاب السردي من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد ،أي حيث يتفكك المكان،ويتحول إلى مجموعة من السطوح والألوان، والتفاصيل التي تلتقطها العين منفصلة ،ولا تحاول أن تقيم منها مشهدا كليا.

-المكان الممثل لتجربة معاشة:وهو مكان الذي عاشه المؤلف، وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال"[1].

[1] -غالب هلسا ،المكان في الرواية العربية ،فصل من كتاب الرواية العربية ،واقع وآفاق ،إعداد محمد برادة،دار ابن [illegible]

ولعل هذا ما قصده غاستون باشلار في كتابه جماليات المكان، حين عرفه بأنه المكان الذي ينجذب نحوه الخيال ،ونشعر بالانجذاب نحوه ،لأنه يكثف وجودنا ويشعرنا بالحماية لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما للخيال من تميز أننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية"[1].

-المكان المعادي: وهو أحد الأمكنة التي وقف عندها غالب هلسا وأعتبره مكان ينمي السخط والرعب عند الشخصية ،حيث يعبر عن إحساس الشخصية بالرعب إزائه ،مما يجعلها تفكر في الهجرة والرحيل والتفكير في الانتقال إلى مكان آخر .

وفي ظل خصائص تشكيل المكان وعلاقته بالعناصر السردية الأخرى، يرى هلسا أن تعامل الخطاب السردي مع المكان يكسبه خصائص معينة فقد يكون المكان ثابتا لمدة معينة ثم يواصل تطوره، وقد يظهر في الخطاب بشكل إشارات جزئية وشذرات متفرقة ،يتولى المسرود له تجميع هذه الأجزاء ،وبناء فضائية المحكي،وقد يغير الخطاب الأمكنة فيكشف تقدم المسار السردي، وحركيته، ذلك أن تغير الأمكنة وانتقال الفاعل يتصل بتطوره الفكري والاجتماعي، ما يمثل المنعطفات الحاسمة في تتابع الأحداث وتوجيه أطوار الوقائع السردية وإيقاعها[2].

*وقد خصصت مجلة (ألف) المصرية السنوية عددا خاصا تحت عنوان (جماليات المكان)[3].تضمنت مجموعة من المقالات النقدية نظرية ،وتطبيقية ، عربية وأجنبية مترجمة ،حاولت الكشف عن الأبعاد النقدية للمكان من خلال الرؤية التي قدمتها هيئة التحرير ،واختيارها للمقالات المنشورة، جاء في مقدمتها "لاشك أن المكان يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب غير أن المكان في الآونة الأخيرة لم يعد يعتبر مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية، كمالا يعتبر معادلا كنائيا للشخصية الروائية فقط،ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني ،وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي،هذا بالإضافة إلى أن المكان كان ومازال يلعب دورا هاما في تكوين هوية الكيان الجماعي وفي التعبير عن المقومات الثقافية وقد أثرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية والجمالية التي تحرك الشعوب في جميع أرجاء العالم .

---

[1] -غاستون باشلار ،جماليات المكان ، ، ص31.
[2] - غالب هلسا ،المكان في الرواية العربية ،ص 215.
[3] -جماليات المكان مجلة (الف) جماعة من الباحثين عيون المقالات الدار البيضاء مطبعة دار قرطبة ط: 21، 1988.

ويصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتصب ،أو إذا حرمت منه الجماعة ولذا فانه يكتسب قيمة خاصة ،ودلالة مأساوية بالنسبة للمستعمرين ،واللاجئين"[1].

* كما عرض سمير المرزوقي وجميل شاكر البنية المكانية في التحليل الوظائفي للقصة عند بروب من خلال كتابهما "مدخل إلى نظرية القصة " اللذين اعتبرا أن البنية المكانية والتصنيف المكاني في الحكايات يقوم على أساس البنية الوظائفية وصنفاه إلى ثلاث أطر مكانية مستندين إلى مقترحات غريماس بشأن مفهوم المكان وتتمثل هذه الاطر فيما يأتي :.

-المكان الأصل: وهو عادة مسقط الرأس ،ومحل العائلة ،والأنس ،لكن الإساءة تحدث في هذا المكان فيترتب عنها سفر الفاعل بحثا عن وسائل الإصلاح والإنجاز ،ولذلك أطلق غريماس على هذا المكان مصلح (espace hétérotopique) (مكان الأنس الحاف)...فالمكان الحقيقي في الحكاية بالنسبة لغريماس هو مكان الاختبارين الترشيحي والحاسم وأما المكان الأصل (مكان الأنس والعائلة) فهو يشبه مكان حاف تتمثل وظيفته في خلق مبررات الأسفار ،و الأفعال إلا أن مطاف البطل كثيرا ما يرد في شكل دائري فيعود إلى مسقط رأسه،حيث يقع تمجيده بعد إصلاح الافتقار"[2] .

-المكان الذي يحدث فيه الاختبار الترشيحي : وهو مكان عرضي ووقتي وقد أطلق عليه غريماس مصطلح (espace para-topique) وهو يعني بذلك أن هذا المكان مجاور للمكان المركزي الذي يقع فيه الإنجاز المقوم للافتقار ،ومن الممكن ترجمة هذا المصطلح بالمكان الترشيحي الحاف.

-المكان الذي يقع فيه الإنجاز أو الاختبار الرئيسي :وقد سماه غريماس بلا مكان (utopie) مبينا بذلك أن الفعل المغير للذات والجوهر لا يمكن أن يتجسم في إطار مكاني معين فمكان الفعل هو اللا مكان ،أي نفي المكان بوصفه معطى ثابتا وقارا"[3].

---

[1] جماليات المجال ، مجلة (ألف) ، ص: 3.
[2] سمير المرزوقي جميل شاكر :مدخل إلى نظرية القصة ، ص62.
[3] نفسه ص 63

ومما يجدر بالباحث أخذ وجهة نظر (point de vue) المؤلف من خلال تصويره، أو ذكره أو وصفه لمكان ما بعين الاعتبار ، إذ أن كل تصور للمكان وليد رؤية خاصة تمثل انحيازا يجب استنباطه من خلال أسلوبية الأثر وصيغ الوصف الواردة فيه .

* أما حميد لحمداني فقد قدم في مبحث (الفضاء الحكائي)[1].مفهوما للمكان وفاعليته ودلالته، فذكر بأن الحيز المكاني المتولد عن طريق الحكي يطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي، الذي يتحرك فيه الأبطال، وهو أقدم مفهوم مقابل للفضاء ،إضافة إلى الفضاء النصي ،والدلالي ،والفضاء كرؤية أو منظور، واستشهد بقول (رولاند بورنوف): أن الروائي (يقدم دائما حدا أدنى من الإشارات (الجغرافية) التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ ،أو من أجل تحقيقي استكشافات منهجية للاماكن)[2].

ويذكر –لحميداني – طريقة تحديد ووصف الأمكنة في الروايات بأنها عادة تأتي متقطعة وبأن ضوابط المكان في الروايات متصلة عادة بلحظات الوصف، وهي لحظات منقطعة أيضا تتناوب في الظهور مع السرد أو مقاطع الحوار ،ثم أن تغير الأحداث ،وتطورها يفترض تعددية الأمكنة واتساعها أو تقلصها حسب طبيعة موضوع الرواية .....إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية)[3].

مما تقدم يتضح أن البنية المكانية هي مجموع الأمكنة الواردة خلال المسار السردي تؤمن وحدته وتثير حركته سواء أذكرت في سيرورة السرد أو أغفلت لتدرك ضمنا.

أما فيما يخص فاعلية المكان وأهميته فنذكر منها: إيهام المتلقي بواقعية الأحداث مادامت تجري في مكان حقيقي،فهي داخلة في نطاق المحتمل . حيث وصف المكان يتصدر السرد ليؤسسه،ويوهم باحتماله. وكذلك الإدارك والتصور للأحداث لابد لها من تأطير مكاني مع اختلاف درجة وقيمة التأطير من خطاب سردي للآخر بتوزيع مع السرد، وكذلك ما أشار إليه جيرار جينيت من أن تشخيص المكان يمكّن المتلقي دائما من ارتياد أماكن مجهولة متوهما بأنه قادر على أنْ يسكنها، أو يستقر فيها إذا شاء.

---

[1] حميد لحمداني : بنية النص السردي ، ، ص 53.

[2] R.Bourqseuf et R Quellet . l'univers du roman PUF ,1981 .p99.

[3] حميد لحمداني: بنية النص السردي ، ص63

إن وجوه دلالة المكان متعددة، فإما أن يكون المكان دالاً على تنوع أنماط الحياة،واختلاف أساليبها ،أو يساهم عنصر المكان كأداة لتعبير عن موقف الفاعل من العالم والمجتمع ،أو يستغل المكان كلوحة إسقاط للحالة الفكرية والنفسية للشخصيات ،حيث يرتقي حينئذ المكان من وسط يؤطر الوقائع السردية إلى محاور حقيقي يقيم عالم السرد لإنتاج دلالته ،إضافة إلى تشكيلات المكان التي تخضع إلى تقاطبات الاتساع والضيق ،الإنفتاح والانغلاق ،الضوء والظلمة ،وغيرها من العلاقات التي تساهم في بناء العالم الدلالي للخطاب، كما ألمح إلى ذلك غاستون باشلار في معرض حديثه عن المتناهي في الصغر والمتناهي في الكبر [1].

[1] -غاستون باشلار ،جماليات المكان ،ص 144.

1-البنية المكانية في خطاب سورة طه :

بعد استعراض هذه المفاهيم النقدية التي حددت مفهوم المكان في ضوء قراءة النصوص ودراسة الظواهر المكانية أحاول أن أطبق بعضها على مختلف البنيات المكانية التي حفلت بها سورة طه.

لقد أخذ التوظيف الفني للمكان في الخطاب السردي القرآني قيمته التعبيرية ضمن الغاية الإبلاغية للخطاب في كليته .

و إذا كان إدراك المتلقي مشروطا في تصوّره للحدث و إرتباطه بإطاره المكاني ،كانت الحاجة ماسة إلى هذا التأطير ،غير أن درجة قيمته تختلف ، وتتنوع من خطاب سردي لآخر . وقد أخذت هذه التقنية السردية طابعها الاعجازي في السرد القرآني حسب فاعلية المكان ودلالاته الملازمة لتطور الحدث السردي .

إن هذا التلازم فرض علينا تقسيم وصف البنية المكانية لخطاب السورة ثلاثة أقسام هي:

1-البنية المكانية في قصة موسى عليه السلام وفاعليتها ،ودلالتها .

2-البنية المكانية في قصة آدم عليه السلام وفاعليتها ،ودلالتها .

3-البنية المكانية في قصة الرسول ﷺ وفاعليتها ،ودلالتها.

1-البنية المكانية في قصة موسى وفاعليتها، ودلالتها .

أخذت المكانية في قصة موسى بنيتها وتطورها من خلال تأطيرها للمسار السردي لسيرة موسى عليه السلام وقومه مع فرعون والسامري وقد شملت البنية المكانية العامة للخطاب عدة أمكنة متعالقة شملت فضاء المدينة ،والبادية ،والمكان المركزي (جبل الطور) الذي تصدر السرد ،وأسس دلالته الكلية بالإضافة إلى الفضاء الطبيعي (الأرض، النهر ،البحر) هذه الأمكنة شكلت الفضاء السردي لحركات الفاعل النبي مع قومه،وتنقلاتهم.

فالحدث ارتبط بسيرة وحياة نبي مع قومه بمراحلها ،ومنعطفاتها مع تأطير يتراوح بين ذكر المكان ، ووصفه ،والاقتصار على إشارات عابرة إلى التعتيم عن قصد.

ولقد أخذت المكانية بعدا بيوغرافيا متعلقا بحياة الفاعل النبي موسى عليه السلام والتطورات الاجتماعية لبني إسرائيل معه.

تمثلت البنية المكانية وتطورها في المعالم الآتية:

1-البيت العائلي لموسى عليه السلام.(يدرك ضمنا).

2-القذف في التابوت ثم القذف في اليم.

3-الوصول إلى قصر فرعون واتخاذه ولدا.

4-العودة إلى البيت العائلي وكفالة الأم.

5-النشأة في بيت فرعون.

6-الدخول إلى المدينة (وقتل القبطي) .

7-الخروج من المدينة والتوجه تلقاء مدين.

8-اللبث في مدين سنين.

9-العودة من مدين إلى المدينة ولقاء الله عز وجل في الوادي المقدس .

10-لقاء هارون والتوجه نحو فرعون ودعوته وعرض الآيات عليه .

11-إسراء موسى ليلا مع بني إسرائيل والوصول الى ساحل البحر.

12-البحر (إنجاء موسى وبني إسرائيل وإغراق فرعون وجنده) .

13-المواعدة حول جبل الطور ثانية لتلقي الشرائع .

14-رجوع موسى الى ساحل البحر ،وإصلاح انحراف بني اسرائيل ،وقذف العجل في البحر و اتياء الشرائع.

هذه هي إحداثيات المكان المؤطرة لحياة الفاعل مع قومه على محورين :

- محور عمراني (المدينة-البادية) .
- محور طبيعي (جبل الطور –سيناء) .

نحو تأسيس ديني لحركة رسالية تعتمد على رؤية جيو-اجتماعية ذات طابع ديني توحيدي.

إن فاعلية المكان في السرد،تجلت في انطلاق الخطاب السردي من مكان البداية (الواد المقدس)، فكان التحول ذلك أن هذا المكان الترشيحي يعد أهم منعطف في حياة الفاعل موسى عليه السلام من الإنسان إلى النبي ،وعلى ضوئه، و أساسه يكون تطور السرد في اتجاهين متعاكسين ومتداخلين:

أولا : اتجاه حاضر السرد المتجه نحو المستقبل وهو الإطار الفعلي الحقيقي الذي يحرك فيه السرد مشروطا ببنية مكانية حقيقية.

ثانيا: اتجاه اللاحقة من الماضي المنطلق نحو الحاضر ،الذي يعود بذاكرة الفاعل إلى المدة السابقة لحاضر التكليم ينتقي منها ما يخدم تطور السردي اتجاه الحاضر المتجه نحو المستقبل وهذه الأمكنة من نوع المكان الذي يمثل تجربة معاشة.

ويمكن تمثيل البنية المكانية للاتجاهين بالمخطط الشكلي الموضح:

الاتجاه الاول : الأمكنة الموالية ←

المكان الحاضر (الواد المقدس)

□

الاتجاه الثاني: أمكنة الماضي المعاشة ←

هكذا تتحدد فاعلية البنية المكانية التي تندرج فيها قصة موسى عليه السلام انطلاقا من (الواد المقدس) منطلق الهداية الإلهية ما يمثل توديع لمرحلة سابقة ،واستئناف الحياة النبوية بأعبائها، كما يمثل طريقا جديدا يحمل فيه الفاعل ثقل الماضي القومي، والشخصي ،وصعوبة الحاضر والشوق إلى الحياة الروحية الكاملة ،بعد التحرير من استعباد فرعون.

من هذا المكان تتدرج الهداية إلى مرحلتين ،مرحلة الميلاد الروحي لموسى مع اصطفائه نبيا ثم الميلاد الاجتماعي الديني من نفس الجبل، جبل الطور لشرائع التوراة المُؤسسة لمجتمع بني إسرائيل حيث يتم الاختبار التمجيدي والتحام الذات النبوية مع أتباعه التائبين من عبادة العجل.

إن دراسة وتحليل المكانية ،في الاتجاهين المذكورين كنسق من الأمكنة المكونة للفضاء الحكائي ،وبيان الوظيفة التي تقوم بها داخل الخطاب السردي باعتبار الدور الجوهري للمكان لا بد أن تنطلق من تحديد العناصر المكانية ،والزمانية لتمثيل دورة الفعل ،والظروف المحيطة به،حيث يحدد المكان خصوصية الحدث السردي المعالج ،ويكشف التقديم الفني للمكان ،ونوعه كخلفية لإجراء نوع من الأحداث ،أو الصراع عليها عن عالم الخطاب ،والرؤية التي كتب بها ،ومن جهة أخرى البعد الفني للمكان ودلالاته العقائدية والاجتماعية والنفسية ما يثير المتلقي أثناء قراءة المكان ومحاورته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من هذا المنطلق كانت مقاربتنا للمكان ذات طبيعة مزدوجة، فمن ناحية نتعامل معه في التحليل كإطار للحدث السردي من منظور وظيفي،(المكان الأصل ،المكان الترشيحي الحاف) ومن ناحية أخرى نتعامل مع المكان المُشَكّل فنيا داخل الصورة ،حين لا نعتبر صورته الفنية كبديل بسيط للمرجع بل بكل ما يحمل من قيم شعورية .

1-1-أمكنة الاتجاه الأول:

وتمثل هذه الأمكنة الدور الوظيفي المرتبط بتطور الوقائع السردية لسيرة موسى عليه السلام من مرحلة التكليم إلى ما بعد إصلاح انحراف بني إسرائيل وتوبتهم ،وقد أشرنا إلى ثلاثة أمكنة حقيقية انطلاقا من التحليل الوظائفي للخطاب:

1-1-1-الواد المقدس طوى.

1-1-2-المكان السوي لمنازلة السحرة.

1-1-3- البحر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-1-1-الواد المقدس (طوى).

وقد ذكر في قوله ﷻ ﴿و هل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس، أو أجد على النار هدى / فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى / وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي﴾ [طه الآية 9-13]

أول ما نلحظه في هذه الآية وصف المكان الذي أتى متصدرا السرد،ومؤسسا له " فالحدث الروائي لا يُقَدّم سوى مصحوب بجميع إحداثياته الزمانية ،و المكانية وتفسير ذلك أنه كل قصة تقتضي نقطة انطلاق في الزمن و نقطة إدماج في المكان)"[1].

إن هذا الالتحام بين الوصف و السرد يفسر بأنه " إذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي ،فإن الوصف هو أداة تشكيل صورة المكان ،ولذلك يكون للرواية — أية رواية- بعدان:

أحدهما :أفقي يشير إلى الصيرورة الزمنية .

و الآخر : عمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجري فيه الأحداث .

وعن طريق التحام السرد و الوصف ينشأ فضاء الرواية)[2].

ما يبرر تقسيم المقطع السردي السابق إلى ثلاثة أجزاء :

- ما قبل المكان (صورة المكان ممثل في رؤية النار من بعيد).
- وصف المكان و تبئير السارد له.
- الحركة السردية في الفضاء الذي يعتبر امتدادا مفترضا للمكان الذي انتهى وصفه سابقا.

"إنه بعد أن ينتهي وصف المكان في رواية ما ،تأتي الحركة السردية لتؤكد حضور الزمان في المكان ،غير أن هذا المكان الأخير ليس هو المكان الذي انتهى وصفه ،إنه على الأصح الامتداد المفترض له ،وهو بالتحديد ما نسميه الفضاء،وهكذا فلا يمكن تصور الفضاء الروائي دون تصور الحركة التي تجري فيه، في حين أنه يمكن تصور المكان الموصوف دون سيرورة زمنية حكائية)[3].

---

[1] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، ص 29.
[2] - حميد الحمداني : بنية النص السردي ،ص 80.
[3] - نفسه: ص 63.

صورة المكان المقدس طوى :قال تعالى: ﴿ إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ﴾[طه الاية 10] .

إن هذا التشكيل الفني للمكان (الواد المقدس)، حين نضل في الظلام ونرى بصيصا من الضوء حقيقته تستمد من حدة جوهره التي هي جوهر الفعل يسكن حكاية لقول موسى عليه السلام لأهله قوله تعالى :﴿لعلي آتيكم منها بقبس ،و أجد على النار هدى﴾.

تشيع هذه الصورة للمكان "العزلة المركزة ،كون من التأمل ،والصلاة ،كون خارج الكون، فكلما ازداد الحرمان إزددنا اقترابا من صورة الملجأ المطلق)[1].ذلك أنه كما يقول غاستون باشلار في تحليل هذه السورة الفنية للمكان تحليلا ظاهريتا" بأن ثبات مركز العزلة يبلغ حداً من القوة والبدائية وحداً من القبول إلى درجة أن صورة الضوء البعيد تصلح كمرجع للصور الأقل تحديدا في المكان)[2].و إذا أضيف له النداء الإلهي الجليل حين سمعه موسى عليه السلام في عمق الوادي الأليف، اكتمل التشكيل الفني لهذا الفضاء المقدس .

يصف غاستون باشلار هذه الصورة للمكان بأنها من الصور العظمى التي لها تاريخ ،فهي ذات عمق حلمي بعيد الغور ،جذورها تمتد خارج التاريخ المثبت في ذاكرتنا، و أنها تعيد إلينا مناطق من الوجود يتمركز فيها يقين الوجود الإنساني ، ويتكون لدينا انطباع بأننا حين نعيش في صورةٍ كهذه تبعث فينا الطمأنينة لهذا فإننا نصبح قادرين على بدء حياة جديدة هي ملكنا وننتمي إليها في أعمق أعماقنا .

و إضافة لما سبق ،فان وظيفة هذا الوصف وظيفة توضيحية تفسيرية، ورمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكي حدده الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية "و إظهار النار لموسى رمز رباني لطيف، إذ جعل اجتلابه لتلقي الوحي باستدعاءٍ بنورٍ في ظلمةٍ رمزاً على أنه سيلقى ما به إنارة ناسٍ بدين صحيح بعد ظلمة الظلال وسوء الاعتقاد)[3] وبهذا يكتمل البعد النفسي الداخلي للصورة مع البعد الاجتماعي الخارجي لها .

---

[1] -غاستون باشلار :جماليات المكان ، ص 56.
[2] - نفسه ، ص 57.
[3] -الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج16 ، ص 205.

وصف المكان المقدس طوى قال تعالى: ﴿ فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾[طه الآية 11-12] .

يُحمل الأمر بخلع النعلين على تعظيم البقعة من أن يطأها إلا حافيا ليكون معظما لها وخاضعا عند سماع كلام ربه والدليل عليه أنه تعالى قال عقيبه ﴿انك بالواد المقدس﴾ وهذا يفيد التعليل فكأنه تعالى قال :(اخلع نعليك لانك بالواد المقدس طوى) وقد وصفه بالقداسة .

ثم ذكر الخطاب بعد ذلك إسم المكان صريحا محيلا على دلالة مرجعية إشارية ﴿طوى﴾ وفي تحديده قيل : إنه اسم الوادي ،وقيل : إنه اسم البقعة المباركة.

-المكان المقدس كفضاء :

بعد أن انتهى وصف الخطاب للمكان،يبدأ كفضاء مفترض إمتدادا للمكان السابق بتصور أحداث الاختيار الترشيحي فيه ،والذي أطلق عليه غريماس (المكان الترشيحي الحاف)، وهو مكان عَرَضي ،ووقتي مجاور للمكان المركزي الذي يقع فيه الإنجاز المقوم للافتقار الديني،حيث تم تكليم الله ﷻ موسى عليه السلام واختياره رسولا وتزويده بالمعجزتين، وإجابة سؤاله مساندة أخيه هارون، كل ما سبق ذكره وقع في هذا المكان ،لتنتهي الحوادث أخيرا إلى العقد بين المرسِل والمرسَل لتحقيق البرنامج الأساس.

1-1-2-المكان الموعد :

قال ﷻ :﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب و أبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى ﴾[طه الآيتان 56-59].

فبعد مرور الفاعل بمرحلة الإختبار، واكتساب شروط كفاءة تبليغ الدعوة إلى الفاعل الضد المتمثل في فرعون ، وملئه المساند له اصطدم برنامجه برفض المرسل إليهم ،وتكذيبهم له واتهامهما بالسحر إبطالا لدعوة موسى وتلبيسا عليها ،اتفقا على موعد المواجهة مكانا، وزمانا (المكان السوي ،ضحى يوم الزينة) حيث يمثل هذا اللقاء الصراع بين البرنامجين، فتحقق أحد البرنامجين هو بالضرورة إخفاق للآخر.موسى وهارون ومعجزة العصا الدالة على صحة دعوتهما من جهة ،وفرعون وسحرته وحبالهم وعصيهم من جهة ثانية،وقد انتهى الموعد بتحقيق البرنامج الأساس ،و إخفاق برنامج الضد .وتحول السحرة إلى الإيمان بالله والتصديق بموسى عليه السلام نبيا لله مؤيدا بالمعجزات.

-وقد وصف مكان الموعد بـــ ﴿سوى﴾ ،"قال الرازي في التفسير الكبير وذكروا في معناه وجوها.

أحدها، قال : أبو علي مكانا تستوي مسافته على الفريقين، وهو المراد من قول مجاهد و قال قتادة: منصفا بيننا.

وثانيهما قال ابن زيد: ﴿سوى﴾ أي : مستويا ،لا يحجب العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض ،فـــ ﴿سوى﴾ على التقدير الأول صفة المسافة ، وعلى هذا التقدير صفة المكان، والمقصود أنهم طلبوا موضعا مستويا لا يكون فيه الإرتفاع و الانخفاض حتى يشاهد كل الحاضرين كل ما يجري.

وثالثها مكان يستوي حالنا في الرضاء به"[1].

ودلالة استواء المكان مع وقت الضحى فضاء لعلو كلمة الله تعالى ،وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد فيه، بصورة جلية واضحة ،لا شبهة فيها.

1-1-3-البحر :

قال ﷻ :﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن اسري بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى﴾ [طه الآية77].

تظهر فاعلية معجزة العصا بالإضافة إلى دلالتها على صدق دعوة الفاعل، تأثيرها في المكان (البحر) ،والذي يأخذ وضعية مزدوجة من حيث الايجاب والسلب بالنسبة لكلٍّ من موسى وقومه وفرعون وجنده .فقد ساعد في إنجاء موسى وبني إسرائيل عندما تحول إلى طريق منقذ من خطر مطاردة فرعون وجنده بفعل العصا، ومن جهة أخرى يمثل البحر مهلك الطغاة بإغراقهم فيه ،وبذلك تمت وظيفته المزدوجة بانتصار الفاعل، وتحقق برنامجه الأساس،و إهلاك الفاعل الضد إلى وإخفاق برنامجه المضاد. وتأسيسا على هذا الجزاء تأخذ عمليات التقييم الذي يمثل القيم المتصارع عليها وهي (الهدى-والظلال)قال ﷻ :﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾[طه الاية79] .

[1] -الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج22، ص72.

1-2-أمكنة الاتجاه الثاني :

وهي من الأمكنة التي تمثل تجربة معاشة حيث عاد السارد بذاكرة الفاعل إلى المدة السابقة التي عاشها قبل حاضر التكليف، وقد وردت هذه الأمكنة في اللاحقة التي سيقت من أجل إقناع موسى بالعناية الإلهية السابقة ،ودوامها له فيما سيأتي من الأحداث أثناء تبليغ الدعوة وتمثلت بنيتها المكانية في المعالم الآتية :

1-البيت العائلي.

2-التابـــــوت.

3-اليـــــــم.

4-قصر فرعون

5-النشأة في بيت فرعون (ضمني).

6-المدينة والخروج منها نحو مدين .

7-مدين والعودة منها إلى المدينة .

8-الواد المقدس طوى.

إن هذا المسح لمواقع الألفة في حياة الفاعل ،و المحفوظة في ذاكرته ،التي أعاد المرسل تذكيره بها لإقناعه بالحماية والرعاية أثناء تبليغ الدعوة، عبر عنه "غاستون باشلار" في فلسفة رؤيته للظاهرة المكانية حيث يقول " ولهذا فلسوف يكون المسح التحليلي دراسة سيكولوجية لمواقع الألفة في حياتنا في مسرح الماضي ،الذي هو ذاكرتنا ،يحافظ الديكور المسرحي على الأشخاص في أدوارها الرئيسية ،في بعض الأحيان نعتقد أننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن ،في حين أن كل ما نعرفه هو تتابع تـــثبيتات في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض الذوبان ،والذي يود حتى في الماضي حين يبدأ البحث عن إحداث سابقة أن يمسك بحركة الزمن، إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمن مكثفا هذه وهي وظيفة المكان"[1].

إن هذا القول يفسر بعمق فعل ذاكرة موسى في تذكر سيرة حياته ،وتكثيف زمنها وتسريعه عبر الأمكنة المذكورة صراحة ،وضمنيا من خلال المواقف المصيرية التي تمثل ذرى بارزة في حياة ليعمق بذلك إحساسه بالحماية واليقين.

[1] -غاستون باشلار : جماليات المكان ، ص39.

2-البنية المكانية في قصة آدم عليه السلام وفاعليتها ودلالتها :

حددت حديثة قصة آدم عليه السلام فضاءات ثلاث كإطار لمجريات أحداثها هي (الجنة، الأرض ،الآخرة) وشكلت بذلك المحور العام للوجود البشري منشأ وتطورا ومصيرا .

إن الخطاب بفضائه الميتافيزيقي الأول (الجنة) الذي تصدر به السرد المتعلق بأصل الإنسانية يكون قد انفتح على الفضاء الغيبي أثناء عرض عداوة إبليس لآدم عليه السلام ،وحادث الغواية الذي ترتب عليه الاهباط إلى الفضاء الحسي الأرضي، إمتداد لذلك الصراع والعداوة بين بني آدم و إبليس حيث الاقامة محدودة و مع التحذير الثاني لأبناء آدم أن لا يتكرر ما وقع لأبيهم ثم تعقب هذه المكانية الأرضية الفضاء الأخروي.

والخطاب إذ يسجل هذه المراحل الحدية للوجود الإنساني قد استثمر على صعيد الأدبية من الأفعال ما يحيل مباشرة على المكان .

- حيث قال ﷻ :﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدوا لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [طه الآية 117] فالإقامة دائمة في الجنة ومشروطة بعدم طاعة إبليس.

-وقوله ﷻ كذلك : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدوا فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يظل ولا يشقى﴾ [طه الاية 123].فالأمر من الله الموجه لآدم وإبليس ﴿إهبطا منها﴾ دل على الانتقال من مكان علوي إلى مكان سفلي .وأما قوله ﷻ :﴿يأتينكم﴾ دال على مقدم فاعل نبي إلى مكان عمراني .

-وأما الفضاء الثالث الآخرة ،فالدلالة عليه إيحائية ﴿ لا يضل ﴾ في الدنيا ،﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة.

-وقوله ﷻ :﴿ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ ففعل الحشر يقتضي أرضا للمحشر.

أما فيما يخص دلالة المكان في قصة آدم عليه السلام ،فالسياق السردي للخطاب مؤسس على حدث دلالته انتقالية من فضاء غيبي الجنة إلى فضاء حسي ارضي ثم إلى فضاء غيبي الآخرة وهو قائم على حركة أيضا هي بالضرورة مشروطة بالتحديد الفضائي.

الجنة ←——— الأرض ←——— الآخرة

فقد سجلت هذه الحركة فارقا وجوديا نوعيا، ذلك أن انتقال الفاعل من الجنة إلى الأرض انتقال عقابي ،ترتب عنه بداهة تدشينات مادية ومعنوية تشمل الذات والمحيط بعد ما اقترف الإنسان أول خطاياه بمخالفة أمر الله فأقصى عن الفردوس السماوي، ليعيش قدرة الارضي وهو يحمل في طبعه عوامل التوبة والانحراف فالأرض بهذا الاعتبار هي مجال إهتداء هذا الإنسان وضلاله .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-البنية المكانية في قصة الرسول ﷺ وفاعليتها ودلالاتها :

قدم الخطاب السردي لقصة الرسول الله ﷺ المكان :

- من حيث هو حيز جغرافي خاص أتى ضمنيا (مكة المكرمة) ،وذلك في قوله ﷻ: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ ،أو له دلالة مرجعية تدرك و-إن لم يصرح باسمه- (آثار مساكن عاد وثمود) في قوله ﷻ :﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولى النهى﴾[طه الآية 128].

-أو من حيث هو فضاء كوني بوصف مظاهر العظمة المتجلية فيه ،والدالة في حد ذاتها على عظمة موجده ومدبره من خلال فعل الخلق ،والتدبير ،وذلك في قوله ﷻ: ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمان على العرش استوى﴾[طه الآية05].

-أو من حيث هو فضاء غيبي قدمه الخطاب عبر تصورات الواقع المجالي الحسي ،واصلا بذلك البعد الغيبي بالبعد الموضوعي في المكانية القرآنية يمثل ذلك .

قوله ﷻ: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قائما صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا آمتن﴾[طه الآيات 105-106-107].

بهذا التوظيف المتنوع للبنية المكانية في الخطاب الذي قدمه في ثلاث دوائر بعضها يحيل على بعض فهناك الدائرة الإلهية وهي المرجعية الكونية الخالقة المدبرة والمستوعبة لكل شيئ ،وهناك الدائرة الكونية بمجاليتها الحسية والحيوية ،وهناك أخيرا الدائرة الغيبية المتمثلة في الفضاء الأخروي .

الله ⟵ الكون الحسي العام ⟵ الكون الأخروي

مصدر كل شيئ المكان الجغرافي (مكة ،منازل عاد وثمود) ارض المحشر

ونشير بشيئ من التفصيل إلى اربعة أماكن تشكل البنية المكانية لقصة الرسول ﷺ .

3-1 - مكة المكرمة:

قال ﷻ :﴿طه ما أنزلنا عليك القران لتشقى﴾[طه الاية 02].

إن المكان في الخطاب الذي قام عليه الافتتاح السردي تمثل في المقام الذي نزل فيه الخطاب والذي يدرك بالضرورة ضمنيا حتى وإن لم يتضمن الخطاب إشارة مكانية لفظية صريحة ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ إلا أن ضمير المخاطب (الكاف) يحيل على الفاعل الذي هو ذات موجودة في مقام المخاطب.

إن الخطاب لم يحدد صراحة مكان الحدث، لكن السياق التاريخي للخطاب يقرر أن الإطار المكاني المكي هو مهبط الوحي القرآني على الرسول ﷺ " وأن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة.وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهورا تحت ذل أعدائه فكأن سبحانه قال له: لا تظن أنك تبقى على هذه الحالة أبدا بل يعلوا أمرك ،ويظهر قدرك ،فإنا ما أنزلنا عليك مثل القرآن لتبقى شقيا فيما بينهم بل لتصير معظما مكرما"[1].

والأمر نفسه بالنسبة للضمائر الواردة في قوله ﷻ: ﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولى النهى﴾[طه الآية 128] فضمائر جمع الغائبين عائدة إلى معروف من مقام التعريض بالتحذير والإنذار ،وهم المخاطبين المشركين في مكة كأول قوم خُوطبوا بهدي القرآن ودلائل الإهلاك إن هم أعرضوا عنه.

3-2-المكان في أبعاده الكونية:

قال ﷻ:﴿ تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ﴾[طه الآية 04] قال الفخر الرازي في تفسيرها:" إنه تعالى عظم حال القرآن بأن نسبة إلى أنه تنزيل ممن خلق الأرض ،وخلق السماوات على علوها ،وإنما قال تعالى ذلك: لان تعظيم الله ﷻ يظهر بتعظيم خلقه ونعمه وإنما عَظَّم القرآن ترغيبا في تدبره والتأمل في معاينه ،وحقائقه وذلك معتاد في الشاهد، فانه تَعْظُمُ الرسالة بتعظيم حال المرسل ليكون المرسل إليه اقرب إلى الامتثال"[2] أما الفعل خلق ،فيحمل دلالة الإيجاد والتشكيل ،في دلالة مجالية على صعيد الفضاء الكوني.

3-3- العرش :

وتمثل في قوله ﷻ :﴿ الرحمان على العرش استوى﴾[طه الآية05] ، قال الرازي في تفسير هذه الآية :"إنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان ،ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه، فهو بالصفة التي لم يزل عليها....ونقطع بأن الله منزه عن المكان والجهة ....وإذا فسرنا الاستيلاء بالاقتدار زالت المطاعن بالكلية ،ثم يذكر قول صاحب الكشاف : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل الا مع الملك ،جعلوه كناية عن الملك، فقالوا :استوى فلان على البلد يريدون مالك ،وإن لم يعتد على سرير البتة

---

[1] الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج22 ،ص 4.
[2] نفسه ص 5.

وإنما عبروا عن حصول الملك بذلك لأنه أصرح ،وأقوى في الدلالة ،من أن يقال فلان ملك"[1].

فالصورة تمثل كلية القدرة والتدبير ،وهي تقوم هنا على وصف حالة وهذا من خلال لفظ استوى ودلالته المتعددة التي تحيل في جملتها إلى الاكتمال والتمكن،وتقوم الصورة كذلك على وصف مقام (العرش) ،ومن إحالته المادية السلطان والحكم والامتلاك ،وهي دلالات تنبني جميعها على بعد مجازي ،ترجع مادية هذه المفاهيم التي تجسدت فيها أدبية الخطاب القرآني إلى فكرة الإطلاق والكلية اللتين تتصف بها قدرة الله الفاعلة المدبرة للكون ،ووصف المقام هذا يقترن بفاعليته في المجال الكوني ،تتضمنها دلالة التدبير موصولة بطبيعة الصورة والاستواء على العرش التي تقرر للإرادة الإلهية بوصفها علة الخلق والراعية له.

3-4-الفضاء الأخروي :

وتمثل في قوله ﷻ :﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له و خشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلا همسا﴾[طه الآيتان [105-108].

تصير الجبال كالهباء المنثور ﴿فيذرها﴾ والضمير عائد على الأرض كلها ﴿قاعا﴾: وهو المكان المطمئن ،﴿صفصفا﴾:وهو الذي لا نبات عليه ، ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً ﴾ فالاستواء نفي للاعوجاج و﴿ أمتا﴾:هو النتوء اليسير.

وتحصل من هذه الصفات الأربع أن الأرض تكون ذلك اليوم ملساء خالية عن الإرتفاع والإنخفاض ،والإعوجاج ،هذا الصورة قدمها الخطاب وصفا لأرض المحشر .

فالأدبية القرآنية هنا، وهي تتحدث عن موقف أخروي ،استخدمت السياق المكاني استخداما فيه هذا البعد الواقعي بصفاته الموضوعية ...وهي هنا الإستواء والملاسة الارتفاع .

"وهي صفات احاطية اكتنافية (مجالية) يعيشها الكائن الحي الإنسان في هذا الوجود الدنيوي فالتحجيم المكاني خاصية وجودية إنسانية لا تفتؤ الأدبية القرآنية تستثمرها في التعبير عن مواقف الآخرة كما أن صورة الكون بجباله المنقوشة .....وهي صورة التجدد والانبعاث إنما جاءت إيحاء آخر بفاعلية الهدم والبناء التي أحكم الله بها سير هذا الوجود، والتي جعل منها سبيلا قدريا تعبر

---

[1] الرازي : التفسير الكبير ،ج 22 ، ص 7.

الإنسانية السعيدة صعودا إلى الخلود لقد عبر الخطاب القرآني عن العالم الغيبي بالحسي وعرض مشاهد اللامرئي بصورة المرئي فيه أبعاد لمكان والزمان بمعانيها الموضوعية القريبة من الإدراك الإنساني"[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] [illegible]

-دلالة المكان

قدم خطاب سورة طه الفضاء أنواعا من الأمكنة المحسوسة منها والغيبية عبر مستويين اثنين.

- مستوى أشاري ،لعلاماته مرجعية محددة (الواد المقدس طوى) تصريحا ،ومكة المكرمة بصورة ضمنية تدرك من خلال السياق التاريخي لبعثة الرسول ﷺ ، ومستوى فني وظيفي ارتبط بصورة المكان في الخطاب وفاعليته داخل المسار السردي الخاص بكل نبي من الأنبياء الثلاث سرد الخطاب قصتهم.

أ-دلالة المكان في قصة موسى:

أخذت المكانية بصفة عامة بعدا بيبلوجرافيا متعلقا بسيرة موسى تراوح تقديمها بين تصوير المكان وذكره، والتعتيم على بعض الأمكنة بذكر وقائع سردية من سيرته دون تحديد اطارها المكاني ،وقد تنوعت هذه المكانية فيه إلى ثلاث أصناف:

1-الأماكن المرتبطة وظيفيا بمسار سيرة موسى عليه السلام :

ونذكر على رأسها (الواد المقدس) الذي أخذ بعدا مركزيا في دلالة الخطاب المتمثلة في الهداية ،ثم مكان منازلة السحرة بتحديداته الهندسية ،الدالة على الاستواء والوضوح ،لإعلاء موقف فوق رؤوس الأشهاد ،وأخيرا (البحر)الذي ختم مسار المتتالية الأولى في قصة موسى بإغراق فرعون وجنده ،وإنجاء بني إسرائيل.

أما المتتالية الثانية في قصة موسى فقد أخذ المكان المركزي فيها (جبل الطور) الاعتبار نفسه مع موسى وبني إسرائيل ،وما وقع لهم من طرف السامري ،هذا من جهة .وفي هدايتهم بإيتاء شريعة التوراة ،من جهة ثانية لتختتم المكانية في هذه المتتالية بنسف العجل في البحر ثانية .

2-الأماكن التي تمثل تجربة معاشة :

أخذ المسح التحليلي الذي ذكّر الله تعالى به موسى عليه السلام وهو بالواد المقدس حياته السابقة من الوضع في بيته العائلي ،ثم الإنتقال إلى قصر فرعون ،والنشأة فيه،ثم البقاء سنين في أرض مدين. إلى عودته منها إلى مكان التكليم بالواد مقدس طوى ،بما تحمل هذه الأمكنة المتعددة من دلالة العناية ،والرعاية الإلهية له عليه السلام.

3-الفضاء الوجودي ،الحسي منه ،والغيبي:

حمل هذا الفضاء دلالات دينية متعددة (التوحيد - البعث) تمثل في الكون الدنيوي (كون الامتحان والعمل)والكون الأخروي (كون جزاء الثواب).

ب-دلالة المكان في قصة آدم عليه السلام :

حدد الخطاب في قصة آدم ثلاثة فضاءات كإطار لأحداث قصته وهي :

(الجنة –الأرض-الآخرة) مشكلة بذلك الفضاء الأنطولوجي الكلي للوجود البشـــري في التصور القرآني، المرتبط بدلالات المنشأ، والتطور ،والمصير .تحكمه في كل هذا القيم الدينية الـــتي قصد الخطاب إقناع المتلقي بها .

ج-دلالة المكان في قصة الرسول ﷺ :

لم تخرج المكانية في قصة الرسول ﷺ في أنواعها ودلالتها ،عن المكانية في قصة آدم وموسى حيث أخذ دلالة التوحيد وعظمت الخالق ،من دلالة المكان في بعد الكوني (السموات والأرض)

وعرش الرحمان الذي أخذ دلالة الامتلاك والتدبير ،ومنه إنزال القرآن على الرسول ﷺ في مكة المكرمة ،هداية للخلق ،بالإضافة إلى تحذير المعرضين بآثار القرون (عاد وثمود) الذين أهلكهم الله بسبب إعراضهم في الدنيا ،وأخيرا فضاء الآخرة الذي يحمل دلالة الجزاء بثواب المطعين وعقاب المعرضين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع : الدلالات السردية في السورة

I – دلالة تسلسل الأحداث

1– دلالة تسلسل الأحداث في قصة موسى عليه السلام

2– دلالة تسلسل الأحداث في قصة آدم عليه السلام

3– دلالة تسلسل الأحداث في قصة الرسول ﷺ

II – البنية العاملية للأحداث

1– البنية العاملية لقصة موسى عليه السلام

2– البنية العاملية لقصة آدم عليه السلام

3– البنية العاملية لقصة الرسول ﷺ

4–المثال العاملي الموحد لخطاب السورة

III – الاقطاب الدلالية

1– القطب الدلالي الاول : (التوحيد ــ النبوة – المعاد)

2– القطب الدلالي الثاني : (الهدى ــ الضلال)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد كان لحضور السرد في الخطاب القرآني عموما بصورة متواترة وراسخة أثرا بـــارزا في تحقيق الأغراض التي يقصدها ، ولما كان الحدث من أهم المكونات التي يقـــوم عليهـــا الخطـــاب السردي ،ويتحرك عبره الفاعل ضمن فضاءات زمنية ومكانية كانت " السياقات الحديثة تتفاوت في السور السردية حسب المواقف التي تستدعيها الأغراض التي تقصدها ،والإطار التعـــبيري الـــتي تندرج فيه ، فالتشكيل الحدثي مشروط ببنية القصة التي تجسده وبالمقام التبليغي الذي تساق مـــن أجله[1].

إن القصص القرآن قد غطى وقائع تاريخية تناولت شخصيات أنبياء الله ورسله وما أيدهم الله به من معجزات على صدق دعوتهم إلى أقوامهم ،وما كان من مآل إعراضهم ، فكـــان مـــن الطبيعي أن يتبلور من معطيات تلك السِيَر ،حيث تتولى آليات السرد نقل السيرة التاريخية كتـــوال للأحداث إلى الخطاب السردي ضمن سلسلة من الوظائف ،تشكل روايته نمطـــا قصصـــيا مـــن الناحيتين، البنائية والوظيفية ،حيث يرتبط ترتيب الوقائع السردية وأحداثها باعتبارين اثنين هما:

– اندراجه ضمن المنظومة السردية التي يسوقها خطاب السورة أثناء إشارته لمجموعة مـــن الأحداث المتعلقة بحياة أنبياء عديدين،حيث تُستَعرض وقائع دعواتهم في بنية شـــكلية منســـجمة ومتماثلة ،توحّد المنحنى العام لخطاب السورة.

– انسجام تشكيل حدثيتها مع الغرض الفني العام للخطاب ،المشروط بالمقام التبليغي الذي سيق من أجله. ذلك " أن النتيجة التي تنتهي إليها القصة الواحدة ،أو تنتهي إليها مجموعـــة مـــن القصص وردت في سورة واحدة وكان لها مقصد واحد،لها أثرها في طريقة البناء و التركيب وفي أسلوب العرض وفي طريقة توزيع العناصر القصصية من أحداث وأشخاص وحـــوار ..... إن الغرض هنا هو المقصد الذي من أجله نزلت القصة القرآنية وهو الذي من أجله بنيت على صورة خاصة وعُرضت بأسلوب خاص[2] .

---

[1] سليمان عشراتي : الخطاب القراني ، ص: 81 .
[2] محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ،ص: 203 .

1-دلالة تسلسل الأحداث في قصة موسى عليه السلام:

استغلت السردية في سورة طه تسلسل وقائع حياة موسى بصورة فنية حيث باشرت سردها من حدث البعثة ،وهو الحدث الرئيسي والمركزي في خطاب السورة عموما.ليرتد بعد ذلك السرد إلى وقائع الميلاد ،والنشأة ، ثم تستوعب القصة مآل تجربة النبوة باعتبارها تجربة فرزية اقصائية خارجية مع فرعون وآله ،وداخلية مع بني اسرائيل فيسجل السرد بذلك تقاطعا مع قصص المنظومة التي احتواها السياق السردي قبلها ،مع الرسول ﷺ يمثل ذلك قوله ﷻ ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ،وبعدها مع قصة آدم حيث يقول ﷻ ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾، وما تلا ذلك من بيان مراحل الدعوة ومصير المؤمنين والمعارضين في الدنيا والآخرة.

ويمكن القول أن البنية الحديثة بؤوريا بموقف التكليم والاصطفاء ،لترتد بصورة مدارية إلى الوراء مستغرقة أطوارا من حياة موسى منذ الميلاد حتى البعثة ، ثم تتصاعد في مستوى خطي مستوعبة المراحل التي أعقبت حادث البعثة ، أثناء تفاصيل الصراع مع فرعون وجنده لتنتهي إلى أطوارها المتأخرة من حياة موسى مع قومه وتوبتهم بعد انحرافهم ، وقد أخذت الأحداث التسلسل الآتي :

- المتتالية الأولى: (موسى وهارون وبني إسرائيل مع فرعون وقومه). بمراحلها الثلاث:

المرحلة الأولى : التكليم والتكليف

- رؤية النار
- نداء الله موسى " الوحي بالتوحيد والبعث "
- منح معجزتي العصا واليد
- تكليف موسى وهارون بدعوة فرعون وإرسال بني إسرائيل .

المرحلة المدرجة : التذكير بأحداث من حياة وموسى منذ الميلاد حتى البعثة .

- الميلاد .
- النشأة .
- الإقامة في أرض مدين سنين .
- الرحيل عن مدين ولقاء الله بجانب الطور .

المرحلة الثانية : الدعوة والصراع مع الفرعون

-دعوة فرعون وقومه وعرض الآيات عليه .

-تفصيل وقائع منازلة موسى وهارون للسحرة و انتصارهما عليهم .

المرحلة الثالثة : الجزاء والمصير.

-إغراق فرعون وجنده وإنجاء موسى وقومه .

ثم تنفتح بنية السرد ليتابع أخبار سيرة بني إسرائيل بعد الانجاء ،ومواعدتهم جانب الطور

- المتتالية الثانية (موسى وهارون وبني إسرائيل مع السامري) ومراحلها الثلاث:

المرحلة الأولى : إعلام الله موسى بانحراف بين إسرائيل

- عتاب الله موسى على مفارقة قومه قبل أن يحيطوا بجبل الطور .

- حدوث فتنة السامري ، بسبب غياب موسى وإعلامه بذلك .

المرحلة الثانية : عودة موسى لبني إسرائيل.

-رجوع موسى بألواح التوراة.

-مخاطبة قومه جميعا بشأن الفتنة.

-تخصيص هارون بالعتاب على بقائه بين عبدة العجل.

- خطاب موسى للسامري.

المرحلة الثالثة : معاقبة السامري وإصلاح انحراف بني إسرائيل.

-إعتراف السامري وعقاب موسى له وقذف عجله في البحر.

- تعليم موسى صفات الإله الحقة لبني إسرائيل (العلم -الوحدانية).

2- دلالة تسلسل الأحداث في قصة آدم عليه السلام:

تقوم الحديثة في قصة آدم على متتاليتين:

الأولى : وقعت أحداثها في فضاء غيبي ترتب عنها حدث الاهباط إلى الارض .

الثانيـــة : وتقع أحداثها في الأرض .

لتبقى بعد ذلك حدثيتها مفتوحة للجزاء في فضاء الآخرة مرة ثانية.

- وقد أخذ تسلسل الأحداث في المتتالية الأولى المراحل الآتية:

المرحلة الأولى:مرحلة التكريم ونشأة العداوة بين آدم وإبليس .

- سجود الملائكة للآدم وعصيان إبليس أمر الله سبحانه وتعالى.
- بقاء آدم وحواء في الجنة ونهيها عن الأكل من الشجرة مع التحذير من عداوة إبليس .

المرحلة الثانية: مرحلة الاغواء وخرق المنع .

-إغراء الشيطان لآدم وزوجه.

- أكل آدم من الشجرة وظهور سوآتهما ومخالفة أوامر الله.

المرحلة الثالثة: -استغفار آدم وتوبته.

ثم ينفتح السرد بعد انتقال الفاعل من الجنة إلى الأرض ،الذي يشكل فارقا وجوديا نوعيـــا ليبني آدم وتستمر العداوة التي بدأت بين إبليس وأول إنسان ،ومجيء الهـــدايات إلى أبنـــاء آدم لتأخذ الحديثة هذا الحكم العام.

- المتتالية الثانية : (آدم وأبناؤه في الأرض ،وموقفهم من الهدايات الإلهية)

المرحلة الأولى :الإخراج من الجنة والاهباط إلى الأرض ومجيء هدايات السماء مع الأنبياء.

المرحلة الثانية : اتباع الهدى أو الأعراض عنه.

المرحلة الثالثة : الجزاء على الموقفين بعد البعث.

3- دلائل تسلسل الأحداث في قصة الرسولﷺ

باشر السرد المتزامن أحداث قصة الرسول ﷺ من خلال حدث مفتوح خارج في بنيته عن نطاق السيرة وتسلسل وقائعها. منطلقا من الحدث الرئيسي الذي عاشه الفاعل وهو بصدد إحداث التغيير الذي شاءه الله وانتدب من أجل تحقيقه،من هنا كان حادث البعث وما تلاه من وقائع التنزيل القرآني المتواصل، أساس هذه الأحداث و ما ترتب عنها من مواقف الطائعين والمعرضين ،وعلى رغم من ذلك فإن تسلسل هذه الأحداث يقارب البنية الآتية.

المرحلة الأولى:غاية الإنزال القرآني على الرسول ﷺالتذكرة والهداية.

- القرآن منزل من عند الله ، وأن محمد رسول الله ﷺ .
- التعريف بصفات منزل القرآن .

المرحلة الثانية:مواقف القوم من دعوة الرسول ﷺ .

- ثبيت النبي ﷺ .
- عتراض المشركين على معجزة القرآن .
- مجادلة المشركين و دحض اعتراضاتهم .

المرحلة الثالثة : صور الجزاء .

- جزاء المعرضين يوم القيامة والتعريض بالعذاب في الدنيا
- صورة عذاب المعرضين يوم القيامة
- جزاء المؤمنين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن بُنيَ الأحداث السردية للقصص الثلاث السابقة التي استعرضها الخطاب السردي لسورة طه انطلقت من حادث البعثة والاصطفاء"حيث باشرت الحدث ضمن شروط موضوعية مكتملة ومعطيات حديثة جاهزة خاصة على مستوى شخصية الفاعلين الرسل والأنبياء والمعاندين فهؤلاء الفاعلون غالبا ما يوردهم السياق القصصي في زمنية النضج والاكتمال، على أن السرد يعرض أحيانا طفولة الفاعل إلى شبابه مثل ماهو الحال بالنسبة لموسى"[1] .

وإذا كان الغرض هو تأكيد دوام العناية الإلهية إلى مراحل الدعوة،فقد استعرض الخطاب السردي منظومة قصص الأنبياء الثلاث وبعثتهم وبخاصة قصة موسى عليه السلام ومحمد ﷺ ودعوتهما وتسلسلها في حلقات متواصلة، ومتقاربة لقصد فني بنائي مكتمل ضمن بنية تركيبية وظيفية للقصص الثلاث التي تشكل خطاب السورة .

وقد أخذت هذا النسق النمطي في البنية الخارجية والذي نمثل له بالمخطط الآتي:

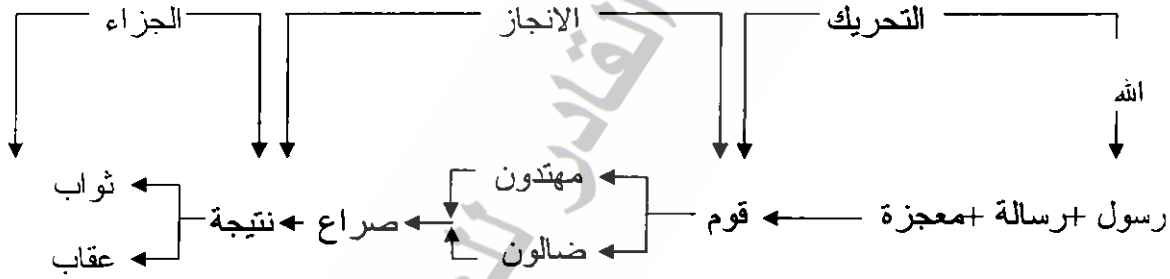

هذه الظاهرة النبوية يقول عنها مالك بن نبي[2] " إن مفاتحها موجود في قوله ﷻ ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل،وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى﴾ [الاحقاف الاية 09] ،فإذا اعتبرنا هذه الآية على أنها حجة يقدمها القرآن للنبي كي يستخدمها في جدال للمشركين ، فلا بد أن نتأمل محتواها المنطقي من ناحيتين:

-فهي تحمل أولا: إشارة خفية إلى أن تكرار الشيء في ظروف معينة يدل على صحته أي أن سوابقه في سلسلة معينة تدعم حقيقته كظاهرة بالمعنى الذي يسبغه التحديد العلمي على هذه الكلمة:فالظاهرة هي:(الحدث الذي يتكرر في نفس الظروف مع نفس النتائج).

-وهي تحمل في مدلولها ثانيا:ربطا واضحا بين الرسل و الرسالات خلال العصور،وأن الدعوة المحمدية يجري عليها أمام العقل ما يجري على هذه الرسالات

1- سليمان عشراتي: الخطاب القرآني ،ص 104 .

2- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية ،ص [illegible]

ومن هذا نستخلص أمرين:

- يصح أن تدرس الرسالة المحمدية في ضوء ما سبق من الرسالات.

- كما يصح أن تدرس هذه الرسالات في ضوء رسالة محمد ﷺ على قاعدة أن:(حكم العام ينطبق على الخاص قياسا، وحكم الخاص ينطبق على العام استنباطا) .

أما من الناحية الشكلية فقد استجاب تحليل الخطاب السردي للسورة لاقتراح -كلود بريمون- في مجال منطق الحكي الذي يوضح اقتراحه انطلاقا من تقديم تصور خاص للمتتالية الحكائية البسيطة وللقانون الذي يحكمها ،حيث بنيت السورة على خمس متتاليات سردية، متتاليتين اثنين في كلٍّ من قصة موسى عليه السلام وآدم عليه السلام ومتتالية واحدة في قصة الرسول ﷺ وفي كل متتالية متحققة في السورة مرت بثلاث مراحل هي:

أ- وضعية "تفتح " إمكانية سلوك ما أوحدث ما.

ب- الانتقال إلى بداية الفعل بالنسبة لتلك الإمكانية ويتجلى ذلك في شكل سلوك يستجيب للتحريض الذي تضمنته الوضعية الأولى .

ج-نهاية الحدث الذي يغلق مسار المتتالية (إما بالنجاح أو الفشل)[1].

حيث تماثل في تحليلنا السابق للمتتاليات المراحل الآتية:

*المراحل الأولى : مرحلة البعثة والتكليف .

* المراحل الثانية : مرحلة الدعـــــــوة .

* المراحل الثالثة : مرحلة الانتصار والجزاء .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

II-البنية العاملية للأحداث:

قصدت في هذه الجزئية معالجة البنية العاملية معتمدا على البنى الشـــاملة دون الوحـــدات الصغرى المنتجة للمعنى .

ولضبط العملية التحليلية عملت على تحديد الذوات الكبرى المهيمنـــة نصـــيا ،وربطهـــا بالبرامج السردية لتبيان أهم الاتصالات والانفصالات بين الذوات والموضوعات ، حتى يتسنى لي توضيح كيفية انتشار مختلف القيم وفق بنى عاملية متميزة ،لذا سعيت إلى تعيين آيات شـــبه مستقلة ،تمثل المقطوعة التي يتمحور حولها الخطاب.كون المقطوعة وحدة مستقلة عن وحدات الخطاب السردي قابلة للاشتغال كقصص ، كما يمكن أن توجد مكملة كجزء من الأجـــزاء التي تشكله ،ويحدد المكان الذي تحتله وظيفتها في التناسق العام للبنية السردية.

1-البنية العاملية لقصة موسى عليه السلام :

يتأسس الخطاب السردي لقصة موسى على إختيار برنامجين سرديين: برنامج أساس ،وبرنامج ضد،حيث يبدأ الصراع في مرحلة دعوة فرعون إلى الكف عن طغيانه ،وإرسال بـــني إســـرائيل. فيحضر فرعون في الخطاب كمعارض مما أدى إلى حالات صدامية برزت أثناء ظهـــور رغبـــتين متعارضتين لذاتين متضادتين ،تسعى كل منهما إلى تحقيق هدف مغاير سواء في المتتالية الأولى مـــع فرعون ،أو في المتتالية الثانية مع السامري ،التي حافظت على علاقتها بالمقطوعة السابقة عن طريق التماس الدلالي الذي جسدته عدة تقنيات قصصية نذكر منها :

طريقة الإبقاء على شخصية واحدة أو عدة شخصيات تمثل الخـــيط الـــرابط بينـــها وبـــين سابقتها،حيث نهضت هذه الأخيرة على إقصاء الشخصيات التي أخفق برنامجها السردي المضـــاد الأول بعد إغراق فرعون وجنده ، وإنجاء موسى وبني إسرائيل.

ومنها كذلك انطلاق السرد من فضاء مقدس واحد ،الأول على يسار جبل الطـــور (عنـــدما اصطفى الله موسى نبيا أثناء عودته من مدين لدعوة فرعون وإنجاء بني إسرائيل،مما كانوا يلاقونـــه من التقتيل ،والاستعباد ،والثاني على يمين نفس الجبل ،جبل الطور بالنسبة للخارج من مصـــر إلى الشام عند مواعدة الله بني إسرائيل شريعة التوراة .

"إن البنية العاملية في تعريفها البسيط طريقة لتنظيم مواطن الخيال البشري وعرض مختلف العوالم الجمعية والفردية أما العامل فيعتبر وحدة تركيبية ذات طابع شكلي بغض النظر عن أي استغلال دلالي أو إيديولوجي . إن الكشف عن المنطق العاملي يستدعي دراسة العلاقات التي تنتظم وفق استراتيجية سردية محددة ، ووفق نظام نحوي يستدعي التحكم فيه بدقة ولذلك يصبح الملفوظ كيف ما كانت طريقة تمفصله،عبارة عن مجموع العلاقات بين العوامل التي تشكله ،وفي مستوى واسع عند اختراق حدود الجملة الواحدة على عكس اللسانيات، يغدو الاشتغال العاملي أكثر جلاء وقدرة على التنظيم والتصنيف، ولضبط العملية التحليلية يتحتم علينا انتقاء الذوات الكبرى المهيمنة نصيا وربطها بالبرامج السردية الممكنة"[1].

بناء على هذا انتقينا مبدئيا آيتين من الخطاب تمحورت حولها القصة التي تحتوي على عوامل المثال وهما آيتان مفتاحيتان للخطاب .

الأولى: قوله ﷻ ﴿ فأتياه، فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾[طه الآية 47-48] .

الثانية : قوله ﷻ ﴿ قال فإن قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان آسفا ﴾ [طه الآية 85-86].

إن الحديث عن تجليات البنية العاملية الشاملة يستند إلى تقديم العلاقات بين المزدوجات الثلاث المتباينة من حيث الطبيعة، والدور العاملي الذي تقوم به.

- مزدوجة : الذات — الموضوع
- مزدوجة : المرسل— المرسل إليه
- مزدوجة : المساندة — المعارضة

- مزدوجة الذات والموضوع:

تجمع هذه العلاقة بين من يرغب (الذات) وما هو مرغوب فيه ، أي تسند علاقة الفاعلين بموضوعاتهم إلى محور الرغبة، وفقا لمبدأ الاتصال والانفصال وتوضح العلاقات في الخطاب مواقف الفاعلين .

---

[1] سعيد بوطاجين : العامل العاملي، دراسة سيميائية تطبيقية لخطاب [illegible]

موسى– تحرير بني إسرائيل في المتتالية الأولى .

وموسى– إصلاح بني إسرائيل في المتتالية الثانية.

*موسى– تحرير بني إسرائيل:

فالذات (موسى عليه السلام) في علاقة فصلية مع موضوع القيمة لتتحول إلى علاقة وصلية بعد إغراق فرعون، وهي اللحظة الختامية في المتتالية الأولى، حيث تتحقق الرغبة ويلتحم النبي بإتباعه. ويخفق البرنامج المضاد مع الفاعل الضد – فرعون الذي كان في الحالة البدئية في اتصال مع الموضوع إلى حالة نقيضة حيث تحولت إلى علاقة فصلية بإنجاء بني إسرائيل وإهلاك فرعون وجنده.

قال الطاهر بن عاشور في تفسير قوله ﷻ: ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ "والاقتصار على طلب إطلاق بني إسرائيل يدل على أن موسى أرسل لإنقاذ بني إسرائيل وتكوين أمة مستقلة بأن يبث فيهم الشريعة المصلحة لهم والمقيمة للإستقلالهم ولسلطانهم و لم يرسل لخطاب القبط بالشريعة ومع ذلك دعا فرعون قومه إلى التوحيد لأنه يجب عليه تغيير المنكر الذي بين ظهرانيهم ....

وأيضا لأن ذلك وسيلة إلى إجابته طلب إطلاق بني إسرائيل، وهذا يؤخذ مما في هذه الآية وما في آية سورة الإسراء وما في آية سورة النازعات والآيات الأخرى"[1] والتعذيب الذي سألاه الكف عنه، هو ما كان فرعون يسخر له بني إسرائيل من الأعمال الشاقة في الخدمة لأنه كان يَعد بني إسرائيل كعبيد وخول جزاء إحلالهم بأرضه.

فبعد امتلاك موسى موضوعي الصيغة الروحي – الوحي ، والمادي – المعجزتين الدالتين على صدقه وكونهما مرسلين من الله ، والمرسل من الله تجب طاعته،ومع بداية الدعوة ظهر الفاعل الضد الذي إدعى الألوهية وعارض رسالة موسى ما أنتج بنية سجالية وإنشطار داخل البرنامج السردي الأساس :

-"برنامج الذات المثمنة قيميا أي المحفل الذي يعبر عن كون قيمي إيجابي

-وبرنامج الذات المضادة ، أي المحفل الذي يمثل القيم المرذولة وهو ما يشكل المضمون الذي يجب أن يخضع للنفي ويمكن تمثيل كنه بنية من هذا النوع إلى الصيغة البسيطة الآتية:

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ج 10 ص ...

هناك ذاتان تتصارعان من أجل الحصول على موضوع واحد:

ذ1 ترغب في الحصول على م1

ذ2 ترغب في الحصول على م1 "[1]

ويقف الفاعل الضد معاندا للفاعل العامل ،فهو يصارعه من أجل موضوع الصيغة خاصة الصيغة العملية التي تدل على صدق الدعوة ،والتي من خلالها يقتنع بنبوة موسى ،ويطيع أمرد بإطلاق بني إسرائيل ،حيث شكك فيها من جهتين .

قال ابن عاشور في تفسير قوله ﷻ :﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ . "جعل فرعون العلة في مجيء موسى إليه أنها قصده أن يخرجهم من أرضهم ،قياسا منه على الذين يقومون بدعوة ضد الملوك، أنهم إنما يبغون بذلك إزالتهم عن الملك ،وحلولهم محلهم ،يعني أن موسى غرته نفسه فحسب أنه يستطيع اقتلاع فرعون من ملكه ،أي : حسبت أن إظهار الخوارق يطوع لك الأمة فيجعلونك ملكا عليهم وتخرجني من أرضي ،فضمير المتكلم المشارك مستعمل في التعظيم ،لا في المشاركة لأن موسى لم يصدر عنه ما يُشَمُّ منه إخراجهم من أرضهم)[2] .

ما ترتب عنه برنامج سردي فرعي مضاد إثر إخفاق برنامجه بإخفاق السحرة في مواجهة موسى بله تحولوا إلى مؤمنين مساندين لبرنامج موسى الأساس في بعده القيمي.

*موسى –إصلاح بني اسرائيل :

أما علاقة الذوات بموضوعاتهم في المتتالية السردية الثانية فتقوم على رغبتين متعارضتين لذاتين متضادتين ،تسعى كل منهما إلى تحقيق هدف مغاير ،فالسامري كفاعل ضد الذي إمتلك كفاءة الإضلال بموضوعه الصيغي صناعة العجل ،والدعوة إلى عبادته ،حيث نجح برنامجه،وتم إضلال شطر كبير من بني إسرائيل إلى حد أن رجع موسى بعد إعلامه من الله بما وقع لنبي إسرائيل، حيث بدأ الفعل المضاد الذي يمثل رغبة موسى في إصلاح الافتقار الديني وإيتائهم شريعة التوراة .

– مزدوجة المرسل – المرسل إليه:

إن فهم علاقة التواصل ضمن بنية الحكي ووظيفة العوامل يفرض مبدأ أن كل رغبة مس لدن ذات الحالة لا بد أن يكون وراءها محرك أو دافع يسميه غريماس مرسل ،كما أن تحقيق الرغبة

[1] سعيد بنكراد السيميائيات السردية ، منشورات الاختلاف، ط2 ، 2003 ص: 70 .

[2] نفسه ص: 111

لا يكون ذاتيا بطريقة مطلقة ،لكنه يكون موجها إلى عامل آخر يسمى مرسل إليه ،وعلاقة التواصل بين المرسل والمرسل إليه تمر بالضرورة عبر علاقة الرغبة علاقة الذات بالموضوع .

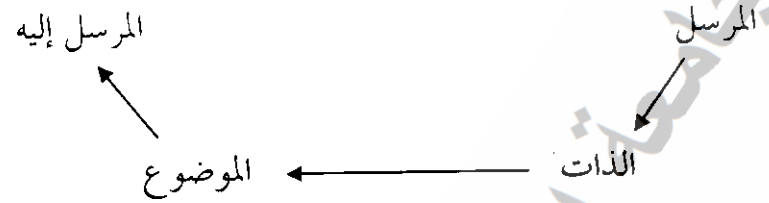

إن المرسل هو الذي يجعل الذات ترغب في شيء ما، والمرسل إليه هو الذي يعترف لذات الإنجاز بأنها قامت بالمهمة أحسن قيام)[1].

تتحدد هذه العلاقة بين المرسل والمرسل إليه (الله / رسوله) بمرحلة التكليم في المرحلة الاختيارية لكفاءة الفاعل ،فالتحول الذي طرأ عليه ناتج عن إرادة المرسل اصطفاء موسى رسولا وفقا للمعرفة التي اكتسبها الرسول وتزويده بالمعجزتين وتصديقه هذا الأمر ،بقبوله إبلاغ رسالة المرسل إلى الفاعل الضد ،هو مرسل إليه بالنسبة لموسى وهو في وضعية المرُسَل المحقق لإرادة المرُسِل في إطلاق بني إسرائيل من استعباد فرعون في المتتالية الأولى.

أما الثانية فنفس العلاقة بين المرسل و الذات ولكن من أجل فاعل ضد آخر هو السامري.

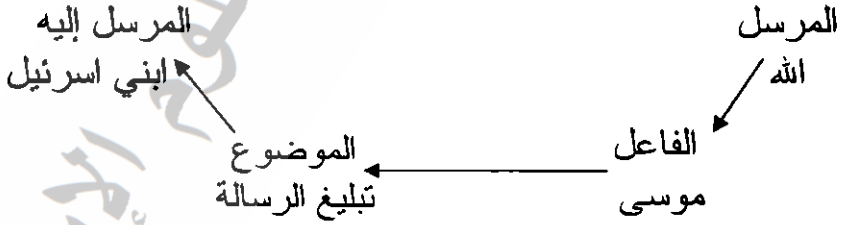

ويتطور هذا التخطيط ويأخذ أوضاعا مختلفة بعد تحديد المساندين والمعارضين ويتفرع من هذه العلاقة علاقتان هما:الله—فرعون،الله—السامري وهي علاقة تسندها علاقة الله برسوله موسى عليه السلام. (الله / الرسول) موسى،وتتمحور حل تبليغ فرعون أمرا لله بالكف عن الطغيان وإرسال بني إسرائيل في المتتالية الأولى ، وكذلك مع السامري ومحاورته في شأن عبادة العجل وإصلاح انحراف

---

[1] حميد لحمداني: بنية النص السردي ، ص: 36 .

بني إسرائيل في المتتالية الثانية ،فيقوم بواجبه الديني الذي صورته أدواره الغرضية،حيث ورد في نهاية كل متتالية أثناء مرحلة الجزاء :

-قوله ﷻ ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى﴾، ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ ، وقوله ﷻ ﴿وأنظر إلى إلهك الذي ضلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾ .

- مزدوجة المساندة والمعارضة:

"وينتج عن هذه العلاقة إما منع حصول العلاقتين السابقتين علاقة الرغبة وعلاقة التواصل وإما العمل على تحقيقهما،وضمن علاقة الصراع يتعارض عاملان أحدهما يدعى المساعد والآخر المعارض الأول يقف إلى جانب الذات والثاني يعمل دائما على عرقلة جهودها من أجل الحصول على الموضوع"[1]، وبظهور المساندين والمعارضين تتضح ملامح البرنامج السردي في المتتاليتين وقيامهما على مبدأ الثنائية ،على أن كل برنامج إضافة إلى فاعله الأساس يحاط بمساندين هم معارضوا البرنامج الآخر والعكس ، ويقدم المساندون مساعدة للفاعل في محور الرغبة لتمكينه من القيام بالفعل في حين يقف المساندون عوائق لتحقيق الفعل.

المساندون :

- هارون أخو موسى:

وهو أهم مساعد يدعم موسى في البرنامج الأساس ،إذ يطلبه من المرسل ﷻ بلفظ صريح في الدعاء تمثل في قوله ﷻ ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزرى و أشكره في أمري ﴾ هذا في المتتالية الأولى أما في المتتالية الثانية فيمثله قوله ﷻ ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾[طه الآية 90].

- أم موسى و أخته:

كلتاهما ساعدتا في إنجاء موسى من القتل بقذفه في التابوت ،وقذفه في اليم ،وإنجائه من الموت بترك الرضاعة ،عندما دلتهم أخته على ظئر ترضعه ، في تحضير المرسل اللهﷻ موسى ليكون رسولا وذلك برعايته.

[1] حميد لحمداني بنية النص السردي ص30

المعارضون:

يظهر المعارضون في بداية الفعل عندما بدأ موسى في تبليغ دعوته وأهم المعارضين:

- فرعون: وهو فاعل البرنامج الضد

-السحرة : يظهرون في البداية كمساندين لفاعل البرنامج الضد ،أي معارضين لموسى ثم ينقلبون مساندين له في نهاية الصراع ،بعد إيمانهم واعترافهم بمعجزتي موسى ،وأنه رسول من رب العالمين .

-السامري: ويمثل الفاعل الضد في المتتالية الثانية بصناعته العجل والدعوة إلى عبادته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويمكن تمثيل العلاقات في المثال العاملي الآتي:

1-المثال العاملي للمتتالية الأولى :

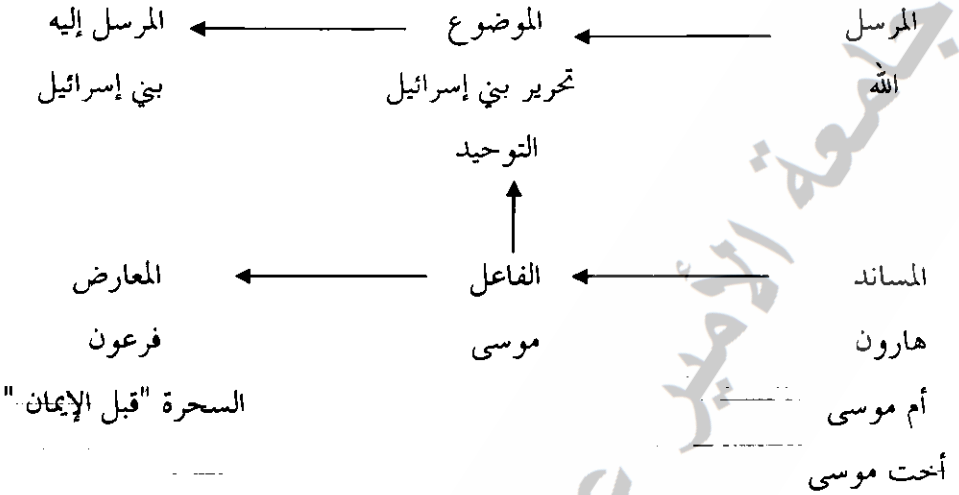

2-المثال العاملي للمتتالية الثانية :

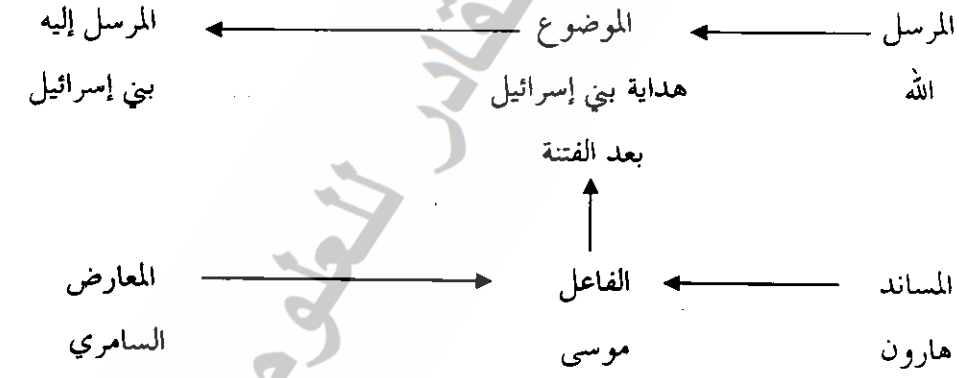

المثال العاملي الموحد للمتتاليتين.

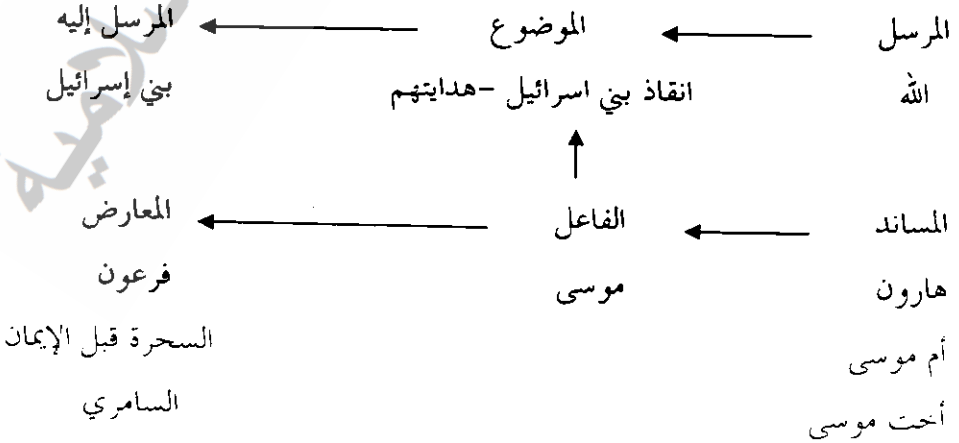

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-البنية العاملية لقصة آدم عليه السلام:

تشكل قصة آدم استطرادا سرديا شبه مستقل عن القصة الإطار ،قصة الرسول ﷺ والقصة النواة قصة موسى عليه السلام ، أما من حيث دلالتها فتمثل ارتقاءا وزيادة في العلم للمتلقي الذي طلب منه السارد ﷻ بالاستزادة منه في قوله ﷻ : ﴿وقل رب زدني علما ﴾ وقد إحتلت سعة سردية يسيرة بالمقارنة مع قصة موسى عليه السلام ومحمد ﷺ وقد حافظت على علاقتها معهم عن طريق التماس الدلالي الذي يمثل عموم وتواتر الظاهرة النبوية في التاريخ الإنساني والتي يشير إليها قوله ﷻ: ﴿فأما يأتينكم مني هدى ﴾ حيث تمثل حالتا موسى عليه السلام والرسول ﷺ -كخاتمة الهديات- حالتين خاصتين من هذا العموم .

وقد إنبنت هذه المقطوعة على توالي متتالين في شكل ثنائية يمثلها الشكل الآتي :.

المتتالية الأولى الانفتاح المتتالية الثانية

↓

(آدم – الشيطان – الجنة) الاهباط (آدم وأبناؤه –الشيطان –الأرض)

وقد جسد الربط بين هاتين المتتاليتين تقنية الإبقاء على الذوات العاملة ،التي تمثل الخيط الرابط بينهما ،وقد اخترنا آية ضمن كل متتالية ،تمثل الآية النواة نقوم بسميأتها وتوزيع أهم عواملها وفق المثال العاملي.

الآية الأولى قوله ﷻ :﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزما﴾[طه الآية 115]

الآية الثانية: قوله ﷻ: ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[طه الآية 123-124] .

قال الرازي في تفسير الآية الأولى "فكان الشيء الذي رغب الله فيه هو الذي رغبه إبليس فيه ، إلا أنه الله ﷻ وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة ،وإبليس وقفه على الإقدام عليها ثم إن آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بان الله تعالى مولاه وناصره ومربيه ،أعلمه بأن إبليس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عدوه حيث امتنع من السجود له، وعرض نفسه للعنة ،بسبب عداوته،كيف قَبِلَ في الواقعة الواحدة قول إبليس مع علمه بكمال عداوته له ،وأعرض عن قول الله تعالى مع علمه بأنه هو الناصر والمربي[1].

الآية الثانية قوله ﷻ ﴿ فإما يأتينكم مني هدى﴾ فيه دلالة على أن المراد الذرية وقد اختلفوا بالمراد بالهدى فقال بعضهم الرسل وبعضهم قال:الأدلة ،وبعضهم قال:القرآن والتحقيق أن الهدى عبارة عن الدلالة فيدخل فيه كل ذلك.

إنطلاقا من هذا نحدد العلاقات بين العوامل في المثال العاملي.

-مزدوجة الذات و الموضوع :

تمثل العلاقة بين آدم كذات فاعلة ،ورغبة الخلود في النعيم الموضوع القيمي ،ويمثل الأكل وعدم الأكل من الشجرة الموضوع الصيغي ،ويمثل الرغبة الصريحة للفاعل الضد إبليس –والذي يخفي الرغبة المضمرة ، في إخراج آدم من الجنة .

فالذات –آدم عليه السلام – في علاقة وصلية مع موضوع القيمة لتتحول إلى علاقة فصلية بعد نجاح برنامج الفاعل الضد ،والمتمثل في عصيان آدم وإخراجه من الجنة ،ثم توبة الله عليه بعد ذلك .ليبقى أبناؤه في علاقة فصلية مع الموضوع القيمي ،مشروط اتصالهم به ،إتباع الهدى الذي يأتيهم من الله وعدم طاعة الشيطان ونمثلهما بالمخطط الأتي:

1- آدم ⟵ الخلود في النعيم

2- أبناء آدم ⟵ الهداية

- مزدوجة المرسل والمرسل إليه :

يمثل هذه العلاقة العهد الذي عهده الله إلى آدم عليه السلام ورغبه في دوام الراحة، والمشروط بالتزام المنع من الأكل من تلك الشجرة ،وعدم خرق هذا المنع يشير إلى ذلك قوله ﷻ ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم فنيتي و لم نجد له عزما ﴾ في هذه المتتالية الأولى.

أما الثانية فهو العهد إلى أبنائه بإتباع الهداية وعدم الإعراض عنها.

---

[1] انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9، ص 22

المتتالية الأولى:

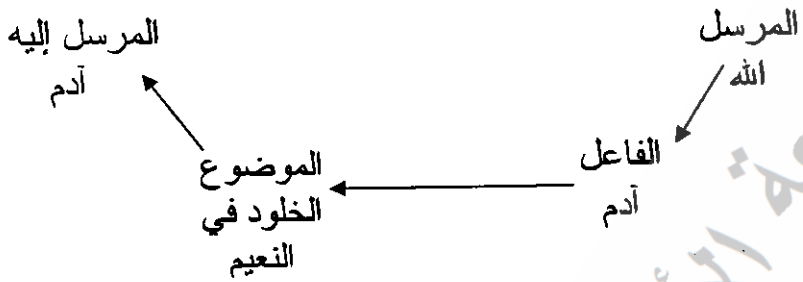

المتتالية الثانية:

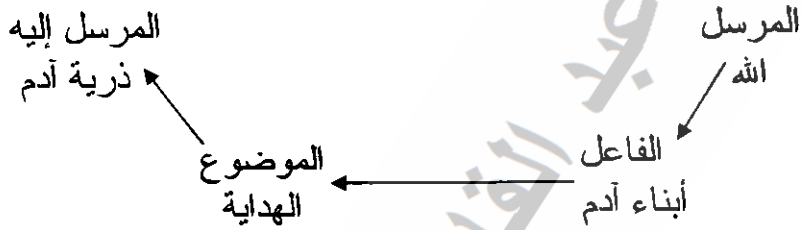

- مزدوجية المساندة والمعارضة:

فينتج من هذه العلاقة كما هو معلوم إما منع حصول العلاقتين السابقتين (علاقة الرغبة وعلاقة التواصل وإما العمل على تحقيقهما ضمن علاقة الصراع و بظهور المساندين والمعارضين حيث تتضح معالم البرنامجين السردين في المتتاليتين وقيامها على مبدأ الثانية .

ويمكن تمثيل العلاقات في المثال العاملي الأتي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-المثال العاملي للمتتالية الأولى :

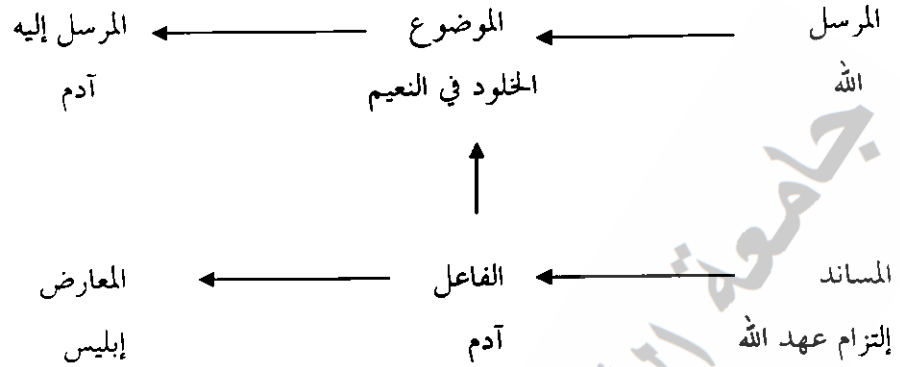

2-المثال العاملي المتتالية الثانية :

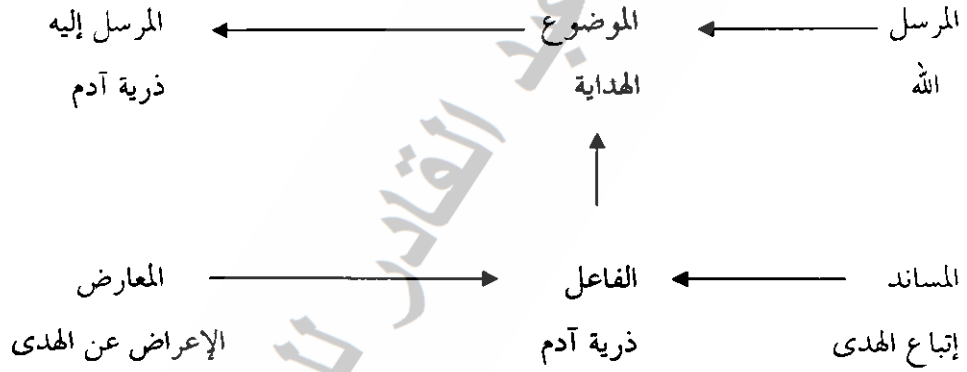

المثال العاملي الموحد للمتتاليتين.

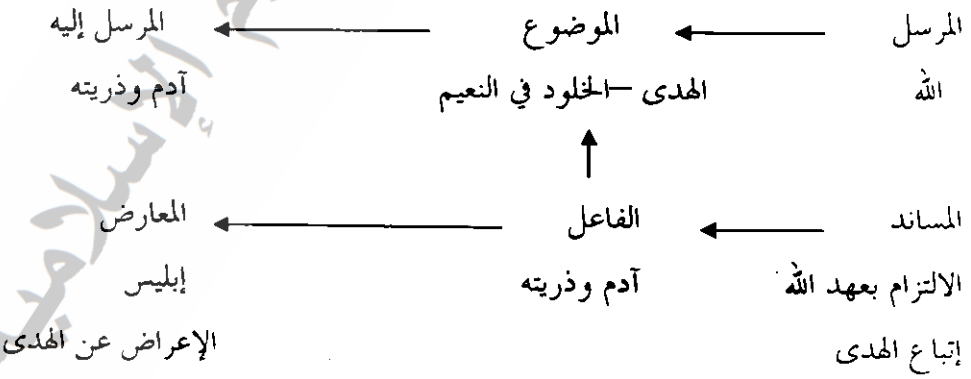

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-البنية العاملية لقصة الرسول ﷺ :

تمثل قصة الرسول ﷺ القصة الإطار التي وردت فيها قصة موسى عليه السلام كحالة مشـــابهة، وخاتمة الهدايات الواردة في قصة آدم عليه السلام .

والآية المفتاح فيها قوله ﷻ ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ قال الرازي:"اذكروا في سبب نزول الآية وجوها أحدها : قال مقاتل أن أبي جهل والوليـــدا بـــن المغيرة ومطعم بن عدي والنصر ابن الحارث قالوا لرسول الله ﷺ : إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال ﷺ : "بل بعثت رحمة للعالمين ،قالوا بل أنت تشقى،فأنزل الله تعالى هـــذه الآيـــة ردا عليهم وتعريفا لمحمد بأن دين الاسلام هو السلام ، وأن هذا القرآن هو السبيل إلى نيل كل فوز، والسبب في إدراك كل سعادة، وما فيه الكفرة،هو الشقاوة بعينها ... وثالثها قال بعضهم :يحتمل أن يكون المراد لا تشق على نفسك ولا تعذبها بالأسف على كفر هؤلاء فإنما أنزلنا عليك القرآن لتذكر به ،فمن آمن وأصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك إلا البلاغ[1] .

وعلى ضوء هذا نحدد العلاقات بين العوامل في المثال الآتي :

- مزدوجة الذات والموضوع :

تمثل العلاقة بين الرسول ص كذات فاعله ورغبته :في تبليغ الرسالة وهداية الخلق الموضوع القيمي الذي يسعى إلى تحقيقه.

الرسول ﷺ ⟵ الإسلام وهداية الخلق

- مزدوجة المرسل – والمرسل إليه :

تستند هذه العلاقة إلى ظاهرة الرسالات السماوية حيث يصطفي الله الرسل لتبليغ هدايات السماء ،كل نبي إلى قومه ،أما الرسول ﷺ فقد بعث إلى العالم أجمع .

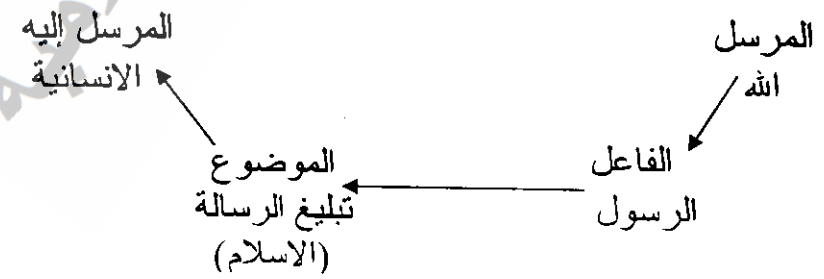

[1] الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج 22 ،ص 4.

-مزدوجة المساندين والمعارضين :

إنبنى البرنامج السردي للرسول ﷺ على مبدأ الثنائية و لم يحدد الخطاب الفاعل الضد ،وإنما ذكر ما صدر عنهم من أذى ،وإتهام ،ذكر ذلك قوله ﷻ :﴿ فاصبر على ما يقولـــون﴾ لتـــؤول العلاقات إلى التمثيل الآتي:

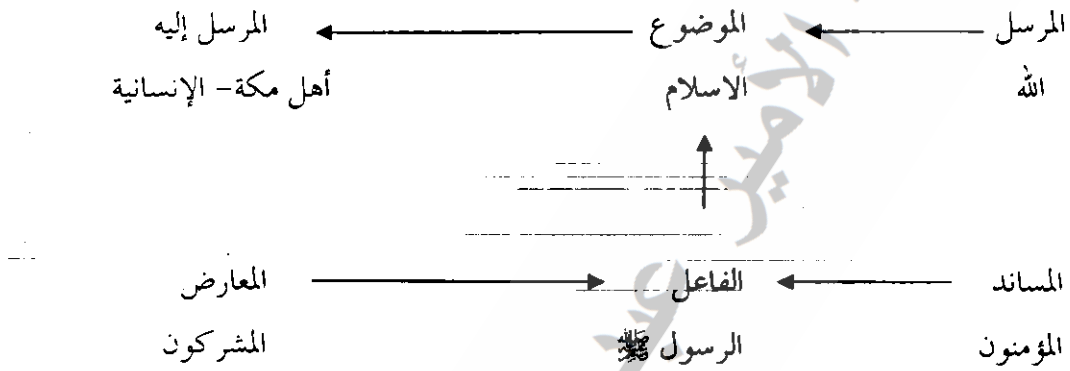

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-المثال العاملي الموحد لخطاب السورة :

بعد أن عرضت الأمثلة العاملية الثلاث، أصل إلى البنية العاملية الكلية للخطاب التي تقوم على ازدواجية خمس برامج سردية .

-برنامج أساس يمثل الهداية :يشترك عدة فاعلين في تحقيقه وهم الانبياء عليهم السلام ومنهم " آدم عليه السلام – موسى عليه السلام – محمد ﷺ".

-برنامج الضد يمثل الضلال: يشترك كذلك في تحقيه عدة فاعلين (ضد) ومنهم (أبليس - فرعون –السامري-والكفار عموما).

أما الهداية الإلهية فهي الموضوع الذي يسعى الفاعل العامل إلى تحقيقه لفائدة المرسل إليه.

III-الأقطاب الدلالية :

تعددت الأقطاب الدلالية في الخطاب السردي للسورة وتمحورت حول قطبين دلالين مترابطين "الهداية – الهدى" ، المثمَّن قيميا من خلال خطاب السورة في مقابل (الإضلال –الضلال) .

والهدى باعتباره ثلاث قضايا متعالقة مشكلة بنية المجال الدلالي للرسالات الأنبياء ،كرؤية كلية تمنح دلالة موحدة ،ومعنى متكامل لقضايا الوجود والمعرفة والقيم.

يمثل هذا قوله ﷻ :﴿ قال إهبط منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) [طه الاية 123] ،قال الرازي في تفسيرها بأن فيها "دلالة على أنه المراد الذرية ،وقد اختلفوا في المراد بالهدى فقال بعضهم :الرسل وبعضهم الآخر قال: الأدلة ،وبعضهم قال : القرآن والتحقيق أن الهدى عبارة عن الدلالة . فيدخل فيه كل ذلك .وفي قوله ﷻ:﴿ فلا يضل ولا يشقى ﴾ دلالة على أن المراد بالهدى الذي ضمن الله على إتباعه ذلك إتباع الأدلة ،وإتباعها لا يتكامل إلا بأن يستدل بها وبأن يعمل بها [1].

ومن أجل تحقيق هذا الغرض المتمثل في الهداية نحا الخطاب في عرضها منحى سردي بآلياته المتعددة : السرد ،والوصف ،والحوار،وذلك من خلال "مفاعلة سردية موضوعية، الإطار التبئيري فيها مرتبط بجدلية التبليغ ،تتصل بفاعل مرسلي"رسول" يتحرك بإرادة فاعل كلي الله يسجد الغياب والحظور في ذات الآن ،يلقن مرسله المبادئ ويقحمه في الوسط الاجتماعي المتردي، ويمكنه من الحجة ويعضده بالتوجيه ،فينخرط الفاعل في أداء وظيفته التصحيحية ،ضمن ظروف مضادة حتى إذا استنفذ الفاعل – الرسول امكانيات الفعل والاستجابة الايجابية تداركه الفاعل الكلي برحمته ونصرته مترلا عقابه الألهي على المكذبين .فالسارد القرآني كلي ، يتحرك بالمسرود ضمن وعي مسبق لا شأن لمنطلق الصدفة والمفاجئة في برنامجه القصصي، وما يسرده مقصوص يحيل على وقائع لها واقعيتها التاريخية أولا موضوعيتها الواقعية أو هي تجسد بسرديتها الفكرة المنسجمة مع روح العقيدة التوحيدية"[2].

---

[1] الفخر الرازي : التفسير الكبير.ج 22 ص 130.
[2] سليمان عشراتي: الخطاب القرآني ،ص 196.

1-القطب الدلالي الأول : وقد توزع إلى ثلاث قضايا التوحيد والقيامة والنبوة

القضية الأولى :

إن الإرسال السردي من حيث مصدريته المحيلة على الله والمحددة الغاية في السعي إلى تحقيق القابلية لدى المتلقي لمعانقة عقيدة التوحيد ،وقد قدم هذه القضية من خلال جانبين:

- جانب وصفي : وتمثله الأسماء والصفات "والأسماء والكلمات، الكلمات الدالة على الاتصاف بحقائق ،وهي بالنسبة إلى الله ، إما عَلَم وهو إسم الجلالة خاصة وإما وصف مثل الرحمان والجبار وبقية الأسماء الحسنى[1] واختصاصه بها ،لأن غيره إما أن يكون مجردا من المعاني المدلولة للأسماء مثل : الأصنام ،والعجل الذي عبده بني إسرائيل ،وإما أن يكون الاتصاف بها كذبا و ادعاء لا حقيقة كادعاء فرعون الألوهية ،وإما أن تكون غير بالغة حقيقتها كاتصاف البشر بالرحمة والملك.

- جانب وظيفي : ويشمل الأفعال الإلهية " الخلق والتدبير " واصطفاء الرسل والوحي إليهم بالرسالات ومنحهم الآيات والمعجزات ونصرهم أخيرا ومجازات البشر يوم الحساب.

-أما على المستوى السردي فيعتمد على الوصف ،و الأخبار ،ويتجلى ذلك في مراحل الاختبار الترشيحي حيث يخبر المرسل المولى ﷻ الفاعل الرسول عن ذاته ،وصفاته العلى معتمدا على المشهد الحواري الذي يتشخص فيه الموقف من خلال تصريحات الفاعلين ،ومجادلة الفاعل الضد المرسَل إليه أثناء مرحلة الانجاز أو من خلال الوقفات الوصفية الواردة ضمن السرد.

وتشير إلى ثلاثة سياقات ورد فيها :

-وصف الذات الإلهية كمنزل للقرآن في قصة الرسول ﷺ .

-وصف الذات الإلهية أثناء تكليمه موسى عليه السلام في مرحلتي الاختبار الترشيحي والإنجاز.

-وصف الذات الإلهية ضمن الوقفة الوصفية الواردة ضمن السرد.

-وصف الذات الالهية في قصة الرسول ﷺ:

-تمثل في قوله ﷻ :﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمان على العرش استوى له ما في السماوات وما في الأرض وما

[1] -الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ،ج 16 ص 192

بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ [طه الاية 01-08]

-قال البيضاوي في تفسير هذه الآيات"ممن خلق الأرض والسماوات مع ما بعده إلى قوله له الأسماء الحسنى، تفخيم لشأن المنزل بغرض تعظيم المنزل ،بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الأرض والسماوات التي هي أصول العالم ،وقدم الأرض لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السماوات العلى ،وهو جمع العليا ثم أشار إلى وجه إحداث الكائنات وتدبير أمرها بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقادير وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته ،وتعلقت به مشيئته ،فقال ﴿الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته ولما كانت القدرة ثابتة لإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفاياها على السواء ،فقال ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم الشر وأخفى ﴾ ثم أنه لما ظفر بذلك أنه المستجمع لصفات الألوهية بين أنه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ .و(مَنْ) في ﴿ممّن خلق الأرض ﴾ صلة لـ﴿ تنزيلا ﴾ أو صفة له والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفهيم المنزل من وجهين:

-إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن .﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾

-نسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب الإيمان به ﴿تنزيلا ﴾ [1]

وصف الذات الإلهية في قصة موسى عليه السلام:

- السياق الأول:

وتمثل في قوله ﷻ ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ [طه الاية 14]

قال الطاهر بن عاشور في تفسيرها (ووقع الأخبار عن ضمير المتكلم باسمه العلم الدال على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ،وذلك أول ما يجب علمه من الشؤون الإلهية وهو أن يعلم الاسم الذي جعله الله علما عليه، لأن ذلك هو الأصل لجميع ما سيتخاطب به من الأحكام المبلغة عن ربهم، وفي هذا إشارة إلى أن أول ما يتعارف به المتلاقون أن يعرفوا أسماءهم فأشار الله إلى أنه عالم باسم كليمه وعَلّمَ كليمه اسمه وهو الله ﷻ"[2] .

---

[1] البيضاوي : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر ،بيروت ب.ت ،ص :413 .

[2] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، ج 16 ،ص 199

أما سياق ورود الوصف أثناء مرحلة الإنجاز وتبليغ الدعوة فقد جاء في مجادلة موسى لفرعون وكذلك في الاستطراد الحواري وأخيرا في مخاطبة بني إسرائيل بعد حرق العجل ونسفه في البحر .

-السياق الثاني :

وتمثل في قوله ﷻ :﴿قال فمن ربكما يا موسى قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾[طه الاية 49-50]

قال الطاهر بن عاشور:(وأجاب موسى بإثبات الربوبية لله لجميع الموجودات جريا على قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية بحيث ينتظم من مجموعها قياس فإن فرعون من جملة الأشياء فهو داخل في عموم " كل شيء " ثم هدى : للترتيب بمعنيه الزمن والرتبي أي خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله وهداهم إلى الحق بعد أن خلقهم"[1].

-السياق الثالث:

تمثل في قوله ﷻ :﴿ قال فما بال القرون الأولى قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماءا فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ [طه الاية 52-53] ، فصبغه الإلتفات ﴿فأخرجنا﴾ "ترتد بالخطاب إلى الله فيكون بذلك السياق تعقيبا قد أوصل خطاب موسى بخطاب الله ايصالا عضويا من خلال شد الخطاب باسم الصلة (الذي) حيث أخذ الموصول موقعا ابتدائيا وتوصيفيا لما قبله في ذات الوقت ربطا لنسيج السياق وتنويعا للافادات ضمن وحدة ذلك السياق"[2] .

السياق الرابع : قوله ﷻ ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما﴾ [طه الاية 98].

جاء في تفسير الطاهر بن عاشور لهذه الاية قوله ﷻ ﴿ وتعليمهم صفات الإله الحق﴾ واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات .... يؤول المعنى : ﴿وسع كل شيء علما﴾ وسع علمه كل شيء بحيث لا يضيق علمه عن شيء أي لا يقصر عن

---

[1]- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ج 16 ص 233

[2] سليمان عشراتي :الخطاب القرآني ،ص 189 .

الإطلاع على أخفى الأشياء كما أفاد لفظ كل المفيد للعموم"[1] ،وتقدم قريبا من عند قوله ﷻ في قصة الرسول ﷺ ﴿ وإن تجهر بالقول فإن يعلم السر وأخفى ﴾ [طه الاية 98].

القضية الثانية : البعث والقيامة

إن الفاعلية السردية في خطاب السورة اندرج ضمن نطاق إرسالية توصيلية عامة قائمة على مبدأ التمثيل الخطابي لما يتناول من قضايا ،أو محمولات عقدية ،تربوية وروحية والسرد فيه مفتوح على الوصف والأخبار والأحكام والمحاورة والاستدلال إلى غيرها من الصيغ وبناءا عليه فقد وردت قضية البعث في عدة سياقات نذكر منها :

1-تلقين الفاعل مبادئ الرسالة ومحمولاتها ، عندما أوحى الله إلى موسى أثناء التكليم قضيتا التوحيد والبعث في قوله ﷻ ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾[طه الاية 15] .

2-وفي سياق تصريح السحرة بعد الايمان في مشهد المبارزة في قوله ﷻ: ﴿إنه من يات ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ [طه الاية 76]

3-أما في قصة الرسول ﷺ فقد وردت قضية البعث في إخبار الله ﷻ عن جزاء المعرضين عن القرآن في قوله ﷻ ﴿من أعرض عن فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيها وساء لهم يوم القيامة حملا ﴾ [طه الاية 101]

4-وقدوردت هذه القضية كذلك في قصة آدم عليه السلام عندما أهبط إلى الأرض وخوطب بقوله ﷻ ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[طه الاية 123-124] ، في بيان الجزاء الأخروي للمعرضين عن هدى الله والتابعين له.

القضية الثالثة: قضية النبوة

تأطرت هذه القضية من خلال سرد سِيَرِ ثلاث أنبياء (آدم ، موسى، محمد) بآليات سردية شكلت الخطاب السردي لقصصهم .

---

[1] -الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ، ج 16، ص: 301.

نذكر منها انطلاق الحديثة في كل منهم من مرحلة البعثة ،وكذا مراحل الإنجاز وما جرى لهم من صراع مع الفواعل المضادة لهم.

2- القطب الدلالي الثاني :

تمثل هذا القطب الدلالي في دلالة (الهداية والهدى) المقابلة لدلالة (الإضلال و الضلال) فقد ذكرنا سابقا عبارة الرازي في تحقيقه ،على أن الهدى :هو عبارة عن الدلالة التي لا تنفك بحال من الأحوال عن مدلول ما ذكرناه في القضايا الثلاث السابقة ،التي تشكل البنية المدلول عليها ،لتأخذ بعد ذلك الحكم القيمي بالإيجاب إن كانت مطابقة ،أو بالسلب إن كانت مضادة لهذا المحتوى الدلالي ،وعلى هذا يتحدد المعنى الكلي لقيم المتحكمة الخطاب.

الهدى : الدلالة على ما جاء به الوحي الإلهي وإتباعه.

والضلال : هو الإعراض عن الوحي الإلهي ومخالفته .

أما سياقاتها فقد جاءت كالآتي :

-﴿ أو أجد على النار هدى ﴾ [طه الاية 10] ، الدلالة على الطريق الموصل .

-﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾[طه الاية47]،تعريض بان يطلب فرعون الهدى الذي جاء به موسى

-﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾[طه الاية 50]، هداهم إلى الحق بعد أن خلقهم

-﴿وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾[طه الاية 79].ما بث فيهم من قلب الحقائق حتى كانت خاتمتهم الغرق .

-﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾[طه الاية 82]،الاستمرار على الهدى والثبات عليه .

-﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾[طه الاية 122] ، الإرشاد إلى النفع .

_﴿فإما يأتينكم مني هدى ﴾[طه الاية 123] ، التكليف بإتباع الهدى .

-﴿فمن اتبع هدى ﴾[طه الاية 123]، الهدى الوارد من الله على لسان رسله

-﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾[طه الاية 128]، مستعارة للإرشاد والتبين .

-﴿فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴾[طه الاية 135]،تعريض بان المؤمنين هم أصحاب الصراط المستقيم والمهتدون .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما السياقات التي وردت فيها لفظة الضلال فهي كالآتي :

-﴿في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾[طه الاية 52] ،نفي الخطأ في العلم .

-﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾[طه الاية 79]، الإيقاع في الضلال .

-﴿وأضلهم السامري ﴾ [طه الاية 85]،الضلال المسبب لفتنتهم .

-﴿ فمن اتبع هدى فلا يضل ﴾ [طه الاية 123]،إن متبع الهدى سالم أن يعتريه شيء من الضـــلال حيث ارتبط معنى الهدى بالوحي الإلهي الذي جاء به الرسل في الآيات [46- 50 -122] و إرتبط بمعنى الإرشاد و التبيين في سياق عاقبة المكذبين من خلال مصارعهم الناطقة بذلك.

وبمعنى الثبات والاستمرار على الحق وكذا الدلالة على الطريق الحسي في الآية [09].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــــــة :

يأتي هذا البحث في إطار الاهتمام بالمروي له وتلقيه للخطاب القـــرآني عمومـــا ،والخطـــاب السردي فيه خصوصا ،توسيعا لأفق التلقي الذي تأسس مع جهود علمائنا العظـــام مـــن المفســـرين والنقاد، وتلاحما مع المنطلقات الابستيمولوجية للبلاغية العربية في إعطائها المخاطب عناية متزايدة في العملية التواصلية وانسجاما مع قدسية الخطاب القرآني المفارق جذريا للمعطى الوضعي مـــن حيـــث مصدرية الحدث السردي المحيلة على الله ﷻ والمحددة الغاية في السعي إلى تحقيقي القابلية لدى المتلقي في الاهتداء بمعالم الرسالة القرآنية.

يجدر بي في نهاية هذه المذكرة أن أشير إلى أهم النتائج التي أسفر عنها جهدي المتواضـــع هـــذا أجملها في النقاط الآتية :

- ففي مفهوم الخطاب السردي القرآني بينت أن البعد الفني فيه هو الاستثمار المعجز لآليـــات السرد في تقديم عالمه الوجودي والتاريخي في بعديه الغيبي والروحي وبقيمه الدينية التي أسست دلالة الخطاب ،وهذا ما وصفه الزمخشري بالأسلوب والطريقة التي اقتص الله بها الأخبار والأنباء ،ما يقارب مفهوم السرد في النقد المعاصر .

-و حددت البنية السردية للخطاب ومستوياتها ووظائف السرد ،فالسارد هـــو الله ﷻ كليـــة العلم يفتتح السرد ويحرك الفعل الحدثي كفاعل مرسل ومحاور وموجه للاحداث إلى نهايتها ،يجمع إلى الفعل السردي الفعل الحدثي في حضوره وغيابه على مستوى الخطاب ،يبئر الأحداث والشخصـــيات وجمع وظائف السرد في بدئه وختمه وتنسيق الخطاب حسب الغرض الذي بني لأجلـــه ،وغلـــب في صيغة الخطاب النقل والاخبار على السرد مما أكسب الخطاب السردي في سورة طه حوارية ملحوظة.

-في تحليل زمن الخطاب ،وصلت اعتمادا على منطق السرد "لكلود بريمون" وإشارات محمد رجب النجار في القصص الأنبيائي، في التقسيم الثلاثي لمسار المتتالية ،انطلاقا من الوضع البدئي إلى الوضع النهائي مرورا بمراحل التحريك والإنجاز ،إلى البنية الكلية للخطاب كخمس متتاليات سردية هي :متتاليتا قصة موسى عليه السلام ومتتاليتا قصة آدم عليه السلام ومتتالية واحدة لقصة الرسول ﷺ ،تنقسم كل واحدة من هاته المتتاليات إلى مرحلة التحريك وهي مرحلة البعثة ،ومرحلة الانجاز ،وهي مراحل الدعوة وتطورها من الفكري إلى المادي ومرحلة الجزاء .مع العلم أني استثمرت مصطلحات التحريك و الانجاز والجزاء في معانيها النقدية واللغوية انسجاما مع دراستي للبنية والدلالة،وبناء عليه تحدد ثلاثة حقول زمنية:

-الحقل الزمني الماضي إختص بقصة موسى عليه السلام وآدم عليه السلام .

-والحقل الزمنية الحاضر متعلق بزمنية الرسول ﷺ .

-والحقل الزمني الأخروي.

-وفي دراستي لعلاقات الترتيب والايقاع والتواتر حددت البنية الزمنية لكل قصة حيث إبتدأ السرد قصة موسى من وسط متن السيرة بحادث التكليم،ليرتد إلى الزمنية السابقة ثم يغطي المراحل اللاحقة واعتمد الخطاب على المفارقة الزمنية البعيدة المدى ما شكل اللاحقة الخاصة في زمنية موسى والتي ذهبت في جماليتها إلى حد الاعجاز .أما قصة آدم عليه السلام ومحمد ﷺ فقد توازى زمن الخطاب مع زمن القصة تقريبا ،والحركات السردية التي شكلت ايقاع السرد غلب عليها الحوار والمشهدية خصوصا في قصة موسى أما بالنسبة للتواتر فالسمة الافرادية كانت ميزة السرد في الخطاب .

-وفي تحليلي للمكانية فقد وضحت التوظيف الاعجازي للمكان وصورته في كل قصة من القصص الثلاث وحددت البعد الوظيفي للمكانية في قصة موسى الذي أخذ أمكنة حقيقية خصوصا المكان المركزي (جبل الطور) وأمكنة تمثل تجربة معاشة في اللاحقة التي ذكرت مراحل حياته السابقة وانفتح السرد في صة آدم على الفضاء الغيبي في الجنة ثم الفضاء الوجودي ليختمه في الكون الأخروي والمذكور كذلك في قصة موسى عليه السلام وفي قصة الرسول ﷺ .

وفي تحديد دلالات في الخطاب ضبطت الامثلة العاملية لكل متتالية لأخلص إلى المثال العـــاملي الموحد لخطاب السورة الذي حدد العلاقات بين العوامل، والذوات الفاعلة فيه.

وبينت أخيرا تحكم دلالة الهداية والضلال في بنية العالم الدلالي للخطـــاب عامـــة مـــا أكـــد الإنسجام الدقيق للعلاقات البنيوية والدلالية في الخطاب السردي لسورة طه.

تمت بحمد الله ﷻ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم : رواية ورش عن نافع .

1/ المصادر :

1- ابن رشد، تهافت التهافت،تقديم وتعليق محمد العريبي،دار الفكر اللبناني 1993

2- ابن كثير ،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل،البداية والنهاية، الطبعة السادسة 1985 مكتبة المعارف، بيروت .

3- ابن منظور،لسان العرب،دار صادر ،بيروت لبنان ط1 ،1992 .

4- البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله ابن عمر الشرازي،أنوار التنزيل وأسرار التأويل دار الفكر بيروت.

5- الجرجاني على بن محمد،التعريفات تحقيق إبراهيم الابياري ،دار الكتاب العربي، ط 1.

6- الجوهري إسماعيل ابن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ط2 ،دار العلم للملايين ،بيروت 1979 .

7- الرازي،مختار الصحاح،تحقيق محمود خاطر ،مكتبة لبنان ، 1995.

8- الرازي محمد فخر الدين،التفسير الكبير ،مطبعة عبد الرحمان ابن محمد ،مصر، الطبعة الأولى

9- الزمخشري،محمود ابن عمر ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،لبنان ط 1947 .

10- القشيري عبد الكريم،لطائف الإشارات،تحقيق ابراهيم بسيوني ،ط2 ،1984 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2/ المراجع :

أ- المراجع العربية:

11 – باديس فوغالي، التجربة القصصية النسائية في الجزائر،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر ،ط1، 2002.

12 – حميد لحمداني، بنية النص السردي المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ط3. 2000 .

13 – حسن البحراوي،بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط،1990.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14- الطاهر بن عاشور،تفسير التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر تونس المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1984.

15 –مالك بن بني،الظاهرة القرآنية ،ترجمة:عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ،لبنان .

16- محمد أحمد خلف الله،الفن القصصي في القرآن الكريم،مكتبة الأنجلو المصرية، 1965 .

17- محمد علي طه الدرة،تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ، دار الحكمة دمشق ،بيروت . ط 1982.

18- عبد الله أبو هيف،النقد الأدبي الجديد في القصة والرواية والسرد ،منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق ،ط 2000.

19- عبد الله ابراهيم، السردية العربية ، بحيث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط2 ، 2000 .

20-غالب هلسا:الرواية العربية واقع وأفاق ،إعداد محمد برادة دار ابن رشد، بيروت ط1، 1981 .

21- سليمان عشراتي:الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1998.

22- سعيد بنكراد:السيميائية السردية ،منشورات الاختلاف ط2 ،الجزائر ، 2003 .

23- سعيد يقطين:تحليل الخطاب الروائي "الزمن –السرد- التبئير" المركز الثقافي العربي ،لبنان ط3 ، 1997 .

24- سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ط 1974 .

25- سمير المرزوقي –جميل شاكر،مدخل إلى نظرية القصة،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر والدار التونسية للنشر ط1.

26-سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1984 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب- المراجع المترجمة :

27- أ . أ مندلاو ، الزمن والرواية ، ترجمة بكر عباس دار صادر،بيروت، 1997 .

28- تزفيتان تودوروف،الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة.دار توبقال للنشر المغرب ط2 ،1990.

29- مقالات السرد الأدبي ، ترجمة الحسيني سحبان وفؤاد حنا ، مجلة آفاق العدد 8-9 ، 1988

30- توما تشوفيسكي ،نظرية الأغراض ضمن كتاب نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانين الروس ترجمة إبراهيم الخطيب ، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت ،الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ط1، 1982 .

31- جيرار جنيت،خطاب الحكاية بحث في المنهج ترجمة ، محمد المعتصم ، عبد الجليل الأزدي عمر الحلي منشورات الاختلاف الجزائر ط3، 2003

32- غاستون باشلا ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط5 ، 2000

المراجع الأجنبية :

33- Dominique Maingueneau: Initiation aux méthodes d'analyse du discours, Hachette université, Paris, 1976 .

34 – T.Z Veton todorov /les catégories du Récit (communication) N°8 paris 1866.

35- Jean Dubois ,(et autres) : dictionnaire de linguistique ,Larousse I talie, 2001

36 – R.Bourqseuf et R Quellet . l'univers du roman PUF ,1981

المجلات :

37- مجلة ألف جماعة من الباحثين،عيون المقالات،الدار البيضاء مطبعة دار قرطبة ط2 1988

38- المجلة العربية للثقافة ،مقال لكمال عمران في تحديد مفهوم الخطاب ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السنة 14 العدد28 مارس 1995 .

فهرس الموضوعات

مقدمة أ – د

مدخل: مفهوم الخطاب السردي

1- مفهوم الخطاب وتطوره في التراث العربي 02
2 - مفهوم الخطاب في النظريات اللسانية المعاصرة 06
3- مفهوم الخطاب السردي في القران الكريم 10

الفصل الأول: مستويات الخطاب السردي في سورة طه

I – الرؤية السردية : 21
1-الرؤية السردية في قصة موسى عليه السلام. 22
2-الرؤية السردية في قصة آدم عليه السلام. 28
3-الرؤية السردية في قصة محمد ﷺ. 29
II – المستويات السردية . 29
1-السرد من الدرجة الاولى . 29
2- السرد من الدرجة الثانية . 30
III – الوضائف السردية 32

الفصل الثاني: البنية الزمنية في سورة طه

I – مفهوم الزمن وتطوره: 35
1 – التحليل الزمني الكلي للخطاب. 48
2 – التحليل الزمني الكلي لكل قصة. 52
أ-الحقل الزمني الماضي. 52
-قصة موسى (دراسة الترتيب والإيقاع والتواتر). 52
-قصة آدم (دراسة الترتيب والإيقاع والتواتر). 73
ب-الحقل الزمني الحاضر (زمن التلقي الأول). 76
-قصة الرسول ﷺ (دراسة الترتيب والإيقاع والتوتر) . 76
ج-الحقل الزمني الأخروي. 78

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الزمن الأخروي في قصة موسى عليه السلام. 78
-الزمن الأخروي في قصة الرسول ﷺ. 79
-الزمن الأخروي في قصة آدم عليه السلام. 79
II – دلالة الزمن 80

الفصل الثالث: البنية المكانية في السورة

I – مفهوم المكان في النقد 83
II – البنية المكانية في خطاب السورة 88
1- البنية المكانية في قصة موسى عليه السلام فاعليتها ودلالتها . 88
2- البنية المكانية في قصة آدم عليه السلام فاعليتها ودلالتها . 97
3- البنية المكانية في قصة الرسول ﷺ فاعليتها ودلالتها . 99
III – دلالة المكان 103

الفصل الرابع: الدلالات السردية في السورة

I – دلالة تسلسل الأحداث 106
1- دلالة تسلسل الأحداث في قصة موسى عليه السلام 107
2- دلالة تسلسل الأحداث في قصة آدم عليه السلام 109
3- دلالة تسلسل الأحداث في قصة الرسول ﷺ 110
II – البنية العاملية للأحداث 113
1- البنية العاملية لقصة موسى عليه السلام 113
2- البنية العاملية لقصة آدم عليه السلام 121
3- البنية العاملية لقصة الرسول ﷺ 125
4-المثال العاملي الموحد لخطاب السورة 127
III – الاقطاب الدلالية 128
1- القطب الدلالي الاول : (التوحيد ــ النبوة – المعاد) 129
2- القطب الدلالي الثاني : (الهدى ــ الضلال) 133
الخاتمة: 135
قائمة المصادر والمراجع 139
فهرس الموضوعات 142

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية